شرح
أصول السنة للإمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل

مقدمة الدرس الأول

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.أما بعد.أيها الأحبة أيها الأخوة الكرام أرحب بكم أجمل ترحيب في مستهل هذه اللقاءات والدروس العلمية وفي أو جلساتها وفي هذا الصباح من السبت في شهر الله الحرام في بلد الله الحرام أيها الأحبة إن مثل هذه اللقاءات وهذه المجالس في بيوت الله عز وجل لهي من أنفس ما تعمر به الأوقات بل وتحيا به القلوب في طاعة الله سبحانه وتعالى.وبدء ذي بدء أرى أنه من الواجب علي بعد شكر الله سبحانه وتعالى وتوفيقه وحمده أولا وآخر وظاهرا وباطنا الذي أمتن علينا بنعم لا تعد ولا تحصى وعملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم من لا يشكر الناس لا يشكر الله.فإن من المتعين علينا جميعا أن نشكر الأخوة القائمين على هذا الجامع المبارك الذين ما فتؤوا ينظمون مثل هذه الدروس العلمية المتميزة والتي نحن أحوج ما نكون إليها في زمن كثرت فيه الفتن وتعددت فيه السبل وتضارب فيه المشارب والأفكار ولا حصانة أيها الأحبة للمسلم من ذلك إلا بالتحصن بالعلم الشرعي الأصيل القائم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما "قال عليه الصلاة والسلام إنها تكون فتن قالوا فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله" فأسأل الله عز وجل أن يجزيهم عنا خير الجزاء وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعلم الصالح وأن يعيذنا وإياكم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يجعل اجتماعنا هذا اجتماعا مرحوما وتفرقنا من بعده تفرقا معصوما وان لا يجعل فيناولا معنا ولا بيننا شقيا ولا محروما كما نسأله أن يجعلنا ممن تحفهم الملائكة وتتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله سبحانه وتعالى فيمن عنده

أيها الأحبة.الصدق مع اله سبحانه وتعالى أساس مهم وهو يشمل الإخلاص ويشمل المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } [التوبة/١١٩] واجب علينا جميعا أن نجعل هذه المسألة نقطة انطلاقنا

في كل أعمالنا وتصرفاتنا وحركاتنا وسكناتنا وحقيقة الصدق مع الله عز وجل هو أن يستوي ظاهرك وباطنك وهذه قضية في غاية الأهمية تحتاج منا كثير من المجاهدة أن تكون أعمالنا كلها خالصة وأن نكون صادقين مع الله عز وجل في ادعائنا الإيمان به ربا وبنبيه محمد صلى الله عليه وسلم رسولا وبهذا الإسلام دينا. ومن الأمور المهمة في هذا المقام هو ضرورة استنهاض الهمم غيرة على دين الله سبحانه وتعالى ورجاء ما عنده تعلما وعملا وصبرا ودعوة إلى الله سبحانه وتعالى على بصيرة ولا شك أن من أهم ما يعين الإنسان في القيام بهذا الواجب هو التزود بالتقوى قال تعالى{ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب } [البقرة/١٩٧] بذكر الله سبحانه وتعالى وبحسن عبادته وهي تقوية الصلة بالله سبحانه وتعالى ومراقبته في السر والعلن واحتساب ما يقوم به العبد وما يلاقي وما ينتظر عند الله سبحانه وتعالى وأن يزن الإنسان أعماله بميزان الكتاب والسنة فمن لم يزن أفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعدوه في ديوان الرجال كما قال أبو حفص رحمه الله تعالى. أيها الأحبة في مستهل هذا اللقاء الأول من لقاءات هذه الدورة العلمية المباركة.أن نذكر شيخنا الجليل الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته الدرجات العلى من الجنة وجميع من نحب مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.فكان رحمه الله تعالى من رواد هذه المجالس العلمية.وكان من المحافظين عليها والمثابرين فيها والمجتهدين في سبيل إقامتها وقد أفضى إلى ما قدم ولا نزكي على الله سبحانه وتعالى أحدا لكن هذا الأمر يقتضي منا أن نقف إلى إشارة يسيرة إلى" قول النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من صدور الرجال وإنما ينتزع العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق عالما أتخذ الناس رؤوسا جهالا فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"وهذا الحديث يقتضي منا أن نجتهد من كل واحد منا في أن يتزود من العلم ما ينير به بصيرته طريقته وأن يعبد الله سبحانه وتعالى على بصيرة من أمره فكم من مريد للخير لم يصبه لأنه لم يوفق للطريق المرضي عند الله سبحانه وتعالى وهذا المقام يذكرنا أيها الأحبة بقول الحسن رحمه الله تعالى في ما يرويه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال"موت العالم ثلمة الإسلام" ويقول ابن مسعود أيضا

عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله "ويقول ابن عباس رضي الله عنهما"خراب الأرض بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير فيها" أيها الأحبة أرى أني لست في حاجة أن أقف طويلا في الكلام عن العلم وفضله فأنتم أحسبكم والله حسيبكم من طلبة العلم الذين عرفوا قيمة هذا الأمر ولذلك حرصوا عليه وسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق لكم مناكم ولكن يكفينا أيها الأحبة أن نشير إضافة إلى ما قدم به المقدم جزاه الله عنا خير الجزاء.أن نشير أنه لا حياة للقلوب إلا بالعلم وبذكر الله عز وجل وأفضل الذكر هو كلام الله عز وجل وهو مادة حياة القلوب ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى.{ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون } [الأنعام/١٢٢] ويقول سبحانه وتعالى.{ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون } [الأنفال/٢٤] أيها الأحبة العلم ميراث النبوة "والنبي صلى الله عليه وسلم يقول وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر" وهو طريق المسلم إلى الجنة "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة"كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم والحديث في . مسلم . وسلوك طريق العلم من علامات إرادة الله بعبده الخير كما قال عز وجل.{ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب } [البقرة/٢٦٩] قال مجاهد "الحكمة هي العلم والفقه في الدين" ويقول مالك رحمه الله تعالى."وقع في نفسي أنه الفقه في دين الله عز وجل" ويكفينا في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم"من يرد الله به خيرا يفقه في الدين"وقال تعالى.{ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فا فسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير } [المجادلة/١١]

والنصوص في هذا المعنى كثيرة أيها الإخوة هناك قوتان يحاج إليها العبد في طريقه إلى الله سبحانه وتعالى.أولهما العلم وثانيهما العمل بهذا العلم والناس يتفاوتون في التزود من هاتين القوتين المحركتين والدافعتين للعبد في خضم هذه الحياة فبعض الناس فتح الله له في العلم فهو قوي في حل المسائل وتفنيد الشبهات ودحضها وبيان

الأحكام وإظهارها ولكنه في المقابل يكون ضعيفا في العمل فلا تجد فرقا بينه وبين عامة الناس لا في صلاته ولا في صيامه ولا في ذكره و لا في سائر أعماله ولذلك تجده ضعيفا أمام الشهوات وينكسر أمامها ويتتبع الرخص بل قد يوظف هذا العلم الذي آتاه الله إياه في سبيل التحايل على المجتبهات والمكروهات وقد يجره ذلك إلى الوقوع في المحرمات والعياذ بالله ونجد فئة أخرى فتح الله لهم في العمل فتجد له من أعمال النوافل من صيام وصدقة وذكر وتأله الشيء الكثير ولذلك يعتصم بإذن الله عز وجل من خواطر الشهوات لأن مثل هذه العبادات تعصم الإنسان من الوقوع في هذه الشهوات ويكفي في ذلك دليلا عليها قوله صلى الله عليه وسلم"ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ولئن سألني لأعطينه ولئن أستعاذني لأعيذنه إلى آخر الحديث" بمعنى أن الله يحفظه ويحفظ جوارحه فلا تكون إلا فيما يرضي الله سبحانه وتعالى ونحن أيها الأحبة نعيش في خضم فتن مدلهمة فتن الشبهات والشهوات وهذا الأمر يقتضي منا ضرورة لا خيار لنا في ذلك أن نتسلح بسلاحين وأن نتدرع بالقوتين قوة العلم العاصمة بإذن الله عز وجل من فتن الشبهات التي كانت ولا تزال تتخطف الناس بكرة وأصيلا وقد توفر لها من الوسائل ما لم يكن له مثيل فيما سبق وكذلك من فتن الشهوات التي فتحت لها من المسالك والطرق والوسائل وما لم يخطر على قلب بشر في السابق فأصبح الإنسان للحفاظ على دينه في مثل هذه العصور المدلهمة أن يتسلح بهذين السلاحين وأن يتقوى بهاتين القوتين حصانة وصيانة لدينه فلا بد له أن يجعل من وقته نصيبا مفروضا للعلم الذي يحيي قلبه ويزيد إيمانه وقد أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالعلم قال تعالى ((فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك.[محمد:١٩] أمر بالعلم كما أمر بالعمل عليه الصلاة والسلام. وكل آية فيها الذين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ففيها الإشارة إلى التحصن بهاتين الإشارتين العلم والعمل وإذا تخلى العمل عن العلم لا يبقى له أثر بل يكون حجة على صاحبه نسأل الله السلامة.أيها الأحبة لست بحاجة إلى أن أقف كثيرا عند هذه الجزئية رغم أهميتها ولكني أقول هذا القول تذكرا لنفسي ونصيحة لإخواني في أننا نجد بعض الأحبة أعطوا جل أوقاتهم للعلم ولكنهم تقاعسوا وقصروا

في جانب العمل ولا أعني بالعمل الواجبات فهذه مطلوبة لا كلام فيها إنما في النوافل التي نحن في أمس الحاجة إليها لحصانة الدين في قلوبنا وحمايته كما أن هناك من اعتنى بجاب مهم من العبادة لكنها على حساب العلم وصيانة قلبه من الشبهات الخطافة أسال الله أن يحفظ علينا ديننا وعقيدتنا وأمننا.أيها الأحبة بين يدي هذا الدرس الذي نفتتحه هذا اليوم لزاما علينا أن نشير إشارة سريعة جدا إلى الكتاب والمتن المختار وإلى مؤلفه.

أما مؤلفه فذلك العلم الجهبذ المعروف وتعريف المعرف لا يحسن فهو كما قال الإمام الذهبي في بداية التعريف به قال*هو الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي*ولد رحمه الله في ربيع الأول سنة ١٦٤.كما ذكر هو رحمه الله عن نفسه في رواية ابنه صالح.وعاش حتى ٢٤١. رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

عاش يتيما مات أبوه وهو صغير فتولته أمه وربته تربية حسنة فكان رحمه الله متجها من صباه إلى الهدى والطريق المستقيم وظهرت علامة النجابة عليه أيام الطفولة وكان حفظه للعلم غزيرا بل كان يضرب به المثل في سرعة الحفظ وربما كان يحفظ الحديث أول ما يسمعه ابتدأ طلب الحديث على شيوخ بغداد وكان أول جلوسه لطلب الحديث في الخامسة عشر من عمره سنة وفاة الإمام مالك رحمه الله تعالى.يقول عن نفسه أول ما كتبت الحديث كتبته عن أبي يوسف وطلبت الحديث وأنا ابن خمسة عشر سنة وفي بعض الروايات وأنا ابن ستة عشر وهي أول سنة طلبت الحديث ثم رحل في طلبه كما هي عادة العلماء في تحصيل العلم فرحل من بغداد إلى الكوفة ثم إلى البصرة عدة مرات ثم إلى مكة وحج مرتين على قدميه ورحل إلى المدينة ورحل إلى الشام والجزيرة وكتب عن علماء ذلك العصر وكذلك رحل إلى صنعاء والتقى عبد الرزاق وأخذ عنه ولا نطيل الكلام عنه رحمه الله تعالى.نقف مع بعض العبرات والحوادث له لتكون نبراسا لنا فهذا العلم الذي وصل إليه هذا الإمام ليس من فراغ وإنما بعد مجاهدة وصبر ومصابرة ومثابرة ومرابطة حتى حصل ما حصل رحمه الله تعالى.يقول ابنه عزم أبي على الخروج إلى مكة لقضاء حجة الإسلام ورافق يحي بن معين وقال له نمضي إن شاء الله فنقضي حجنا ثم نمضي إلى عبد الرزاق إلى

صنعاء ونسمع منه. (فكانت هذه النية المبيتة لأنه بعد الحج يذهبون إلى صنعاء لسماع الحديث من محدثها الإمام عبد الرزاق).يقول فدخلنا مكة وقمنا نطوف طواف الورود.(وهو ما يسمى بطواف القدوم) فإذا عبد الرزاق في الطواف قال فقام يحي بن معين فجاء إلى عبد الرزاق فسلم عليه وقال له هذا أحمد ابن حنبل أخوك قال فحياه الله وثبته فإنه يبلغني عنه كل جميل فقال نجيء إليك غدا إن شاء الله حتى نسمع ونكتب قال وقام عبد الرزاق وانصرف قال فقال أبي ليحي بن معين لما أخذت على الشيخ موعدا قال لنسمع منه قد أربحك الله مسيرة شهر ورجوع شهر والنفقة فقال أبي ما كان الله يرني وقد نويت نية لأفسدها بما تقول نمضي فنسمع منه في صنعاء فأكمل حجه وانطلق إلى صنعاء ليسمع من عبد الرزاق. لأنه قد نوى هذه الرحلة احتسابا لوجه الله عز وجل فلم يشأ أن يقطعها بعد أن وجد عبد الرزاق في مكة وإنما ذهب إلى صنعاء من أجل أن يسمع الحديث منه هناك.رحمه الله رحمة واسعة ولذلك فقد لقي في طريقه ذلك نصبا فظهر ذلك على لونه وبنيته فلما رآه احمد بن إبراهيم الدورقي وذكر نصبه وتعبه أجابه قال إن هذا هين في ما أستفدناه من عبد الرزاق. كان مضرب المثل في العفة رحمه الله تعالى.يقول ابنه صالح قلت لأبي إن أحمد الدورقي أو عطي ألف دينار فقال يا بني [ورزق ربك خير وأبقى[طه:١٣١] فلما أرسل إليه المتوكل بعد المحنة بتلك الصرة ردها وقال إنها والله أثقل علي من السجن.أثنى عليه شخص فقال جزاك الله عن الإسلام خيرا قال بل جزى الله الإسلام عني خيرا من أنا وما أنا رحل في طلب العلم وكتب الحديث وحدث به كما هو معلوم لا نقف عنده.لكن يقول أبو زرعة نظرنا في كتب الإمام أحمد يوم وفاته فرأينا أنها بلغت أثني عشر حملا وعجلا. حمل بعير ولذلك قال الإمام الشافعي فيه خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدا أورع ولا أتقى ولا أفقه قال الراوي وأظنه قال ولا أعلم من أحمد بن حنبل.وهذه الخصال التي ينبغي أن يجتهد الإنسان في تحصيلها.الورع مع التقوى مع الفقه مع العلم وقل أن تجتمع هذه الخصال إلا في القلائل والنوادر من الناس جعل الله لنا وإياكم منها نصيبا ويقول الشافعي أيضا عن احمد إمام في ثمان خصال.إمام في الحديث إمام في العفة إمام في اللغة إمام في القرآن إمام في الفقر إمام في الزهد إمام في الورع إمام في السنة.وقال أبو عبيد

القاسم بن سلام.انتهى العلم إلى أربعة.أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحي بن معين وأبي بكر بن شيبة قال وكان أحمد أفقههم.وقال إبراهيم الحربي أدركت ثلاثين لن ير مثلهم يعجز النساء أن يلدن مثلهم وذكر منهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى.يقول علي بن المديني إن أيد هذا الدين بأبي بكر يوم الردة وبعمر بن عبد العزيز يوم رد المظالم بأحمد بن حنبل يوم المحنة وتعرفون المحنة التي حصلت من الجهمية في مسألة خلق القرآن فسجن وأوذي وضرب وثبت كالجبل الشامخ رحمه الله تعالى حتى ثبت الله به السنة ولذلك سمي بإمام أهل السنة بعد أن و الرَّى كثير من أهل العلم في هذه المسألة وقالوا بالتقية وعملوا بالرخصة أخذا بقول الله تعالى({ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان } [النحل/١٠٦] فلما جعلوا يذكرونه بالتقية وما روي فيها من الأحاديث قال فيكف تصنعون بحديث خباب بن الأرت "إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار ما يصده ذلك عن دينه" أو كما قال صلى الله عليه وسلم ولذلك لما كان في سجنه وكان معه محمد بن نوح الذي ثبت حتى مات في السجن رحمه الله تعالى قال لإمام أحمد وكان يدعوا له ويثني عليه ويقول هو من خير من ثبتني في تلك المحنة قال يا أبا عبد الله الله إن لست مثلي أنت رجل يقتدى بك قد مد الخلق أعناقك إليك لما يكون منك فاتقي الله واثبت لأمر الله.أو نحو هذا.قال رحمه الله تعالى فمات وصليت عليه ودفنته.ولذلك لما كلم في التقية قال أنظروا من خارج السجن وإذا الناس بالآلاف بمحابرهم ينظرون ماذا يقول الإمام احمد في تلك المسألة فقال إذا يموت واحد و تحيا أمة فأحيا الله سبحانه وتعالى تلك الأمة بثبات أحمد على السنة رحمه الله تعالى رحمة واسعة. أيها الأحبة لا أطيل الكلام على سيرته فهي مبثوثة ومعروفة وقد ورث لنا جما غفيرا من المؤلفات النافعة الدال على سعت علمه وحفظه رحمه الله تعالى منها كتاب المسند المشهور ويحتوي على نيف وأربعين ألف حديث كما ذكر العلماء عنه وهناك عدد من الكتب الأخرى ككتاب العلل .وكتاب الزهد تأليفا وعملا.وكتاب المسائل وكتاب فضائل الصحابة مطبوع في مجلدين وكتاب الأشربة وهو مطبوع أيضا وكتاب الرد على الجهمية وهو مشهور ومطبوع أيضا وكتاب الورع والإيمان الذي رواه عنه الخلال وكتاب أهل الملل والردة والزنادقة وتارك الصلاة والفرائض وكتاب العقيدة

وغيرها من الكتب الكثيرة وهناك بعض الرسائل في العقيدة نسبت إليه رحمه الله تعالى وحفظت عنه وذكرها المؤرخون له منها رسائل لا تثبت له.وإن كانت موجودة ومبثوثة في كتب التراجم كطبقات الحنابلة لأبي يعلى وغيره ومنها رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد البصري وهذه الرسالة وإن كانت قد طبعت مفردة مشكوك في نسبتها الإمام أحمد رحمه الله تعالى ذكرها أبو يعلى في الطبقات وذكرها ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد وذكرها الألوسي في جلاء العينين وهناك أيضا رسالة للصخري وهذه أيضا لا تصح نسبتها للإمام أحمد. بل "قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى بعد أن سرد طرفا منها يقول الإمام الذهبي إلى أن ذكر أشياء من هذا الأنموذج المنكر والأشياء التي والله ما قلها الإمام أحمد فقاتل الله واضعها" وهذا يعطينا أيها الأحبة ضرورة التثبت من كل ما ينسب للإئمة رحمهم الله تعالى فهناك رسائل ومؤلفات نسبت للإمام أبوحنيفة وللإمام مالك وللإمام الشافعي وللإمام أحمد رحمهم الله تعالى لا تثبت ولا تصح نسبتها إليهم فعلى طالب العلم أن يتحرى ما يتلقاه من كتب وقبل أن يقرأ في الكتاب عليه أن يتحرى من صحة الكتاب ونسبته إلى مؤلفه وخاصة الأئمة الكبار فقد نسب إليهم من الأقوال ومن العقائد ما لا تصح نسبته إليهم. ومنها رسالتين للتميميين وهي أيضا منسوبة للإمام أحمد في الاعتقاد وذكرت ملحقة في طبقات الحنابلة وتكلم العلماء في نسبتها للإمام أحمد لأنه قد أدخل فيها بعض مصطلحات المتكلمين لأن رواتها كانوا من أصحاب أبي بكر الباقلاني المتكلم المشهور فتأثروا بالكلام فنسبوا بعض الأقوال إلى الإمام أحمد ولا تصح وقد نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.وهناك كتاب مهم لطالب العلم في هذا السياق وهو {كتاب براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة. للشيخ الدكتور عبد العزيز الحميدي} وهذا الكتاب مطبوع ومهم في هذا الباب.هذا الكلام إنما هو مقدمة للحديث عن أصول السنة عن هذه الرسالة التي بين أيدينا.هذه الرسالة مشهورة ومعلومة يكاد يجمع العلماء المحققون على صحة نسبتها للإمام أحمد ولذلك اعتمدوها وأخرجوها في كتبهم أو ذكروا شيئا من مسائلها.لذلك لن أطيل في الكلام عليها وإنما أشير إلى مواضع ذكرها وهي من رواية عبدوس العطار وهو من أخص تلامذة الإمام أحمد والرواة عنه هذه الرسالة ذكرها بإسنادها كاملة أبي

يعلى في الطبقات كما ذكرها الحافظ اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد كاملة وذكرها ابن الجوزي في المناقب وذكرها العليمي في المنهج الأحمد والألوسي في جلاء العينين وابن بدران في المدخل وقد صحح شيخ الإسلام ابن تيمية نسبتها إلى الإمام أحمد ونقل منها مقتطفات في مواضع متفرقة من كتبه فمن ذلك قوله "ولهذا قال الإمام أحمد في رسالته في السنة التي رواها عبدوس بن مالك العطار قال ليس في السنة قياس ولا يضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول" وهذا النص موجود في هذه الرسالة التي بين أيدينا كما سيأتي إن شاء الله قد نشرت هذه الرسالة كاملة في مجلة المجاهد وهي محفوظة النسخة الخطية في الظاهرية ونسخها الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.وروايتها عن الإمام أحمد عن عبدوس العطار كما قلنا وكانت له عند أبي عبد الله منزلة كبيرة وله به أنس شديد وكان يقدمه على تلامذته ويأنس به وقال عنه الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى هو ممن روى عن الإمام أحمد وسمع عنه وترجم له الخطيب وغيره من العلماء.وعليه فإن الرسالة التي بين أيدينا ثابتة عن للإمام أحمد والقلب مطمئن في نسبتها للإمام أحمد رحمه الله تعالى.وهذه خطوة مهمة جدا بين يدي مدارسة هذه الرسالة الصغيرة في حجمها الكبيرة والعظيمة في مادتها العلمية وفي مسائلها المختصرة كما هي عادة المتقدمين من سلف الأمة.فكلامهم قليل لكنه كثير البركة.على خلاف المتأخرين الذين كثر كلام أكثرهم وقلت البركة إلا من رحم ربك والله المستعان. هذه الرسالة بين أيدينا ذكر في أولها إسنادها إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى.يقول الراوي لهذه الرسالة، حدثنا الشيخ أبو عبد الله يحي بن أبي الحسن الحسن بن البنا قال أخبرنا والدي أبو علي الحسن بن أحمد بن البنا قال:أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل قال أنا عثمان بن أحمد السماك قال:أبو محمد الحسن بن عبد الوهاب أبو العنبر قراءة عليه من كتابه في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وتسعين ومائتين . ٢٩٣. قال حدثنا أبو جعفر محمد سليمان المنقري البصري ب"تنيس" قال حدثني عبدوس بن مالك العطار قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول.هذا هو إسناد هذه الرسالة القيمة إلى تلميذ الإمام أحمد البار وهو عبدوس بن مالك العطار والرواة الذين رووا الرسالة عنه وقد صرح فيها بالسماع من الإمام أحمد في تعداده لأصول

السنة قال أصول السنة عندنا فشرع في الحديث عن هذه الأصول التي حوتها هذه الرسالة لن نقف مع تراجم هؤلاء الأئمة بعد أن رأينا إجماع المحققين من أهل العلم على ثبوت هذه الرسالة وأنه لا شك في صحة نسبتها إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى على عكس بعض الرسائل التي قد أشرنا إليها والتي لم تصح نسبتها إليه هذه الرسالة كما تلاحظون من عنوانها . أصول السنة عندنا . والأصول كما هو معروف جمع أصل والأصل هو القاعدة وما ينبني عليه الشيء ومن ذلك أصل الشجرة أي جذعها وقاعدتها التي تنبني عليها كما ورد في الحديث لما ذكر حديث حذيفة في الافتراق قال لو أن تعض بأصل شجرة فهذا هو الأصل والأساس الذي أنبنى عليه الاعتقاد وغير ذلك من الأمور. السنة معروفة هي الطريقة والسيرة من حيث اللغة وهذه شواهدها كثيرة في الكتاب والسنة وأشعار العرب.يقول الله عز وجل { سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا } [الإسراء/٧٧] وفي قول الله عز وجل ((سنة الله في الذين خلوا من قبل)) وغيرها من الآيات الكثيرة التي ذكرت السنة بمعنى الطريقة والسيرة والمسلك الذي كان عليه أولئك.جاء أيضا في الأحاديث ذكر السنة بمعناها اللغوي وبمعناها الاصطلاح الذي نتحدث عنه كما جاء "في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة" وكما جاء في الحديث المشهور"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي" وغيرها من النصوص التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام.أما من حيث الاصطلاح.فتتعدد تعريفاتها بحسب تعلقها وبحسب المراد منها.فعند الأصوليين لها تعريف خاص وعند الفقهاء لها اصطلاح خاص وعند المحدثين لها اصطلاح خاص وعند المهتمين بمسائل الاعتقاد وهي المقصود هنا لها اصطلاح خاص.والمراد بالسنة هنا في هذه الرسالة وهي عند أهل الاعتقاد السنة ما يقابل البدعة.ومعنى ذلك هي ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن يقتدى بهم في هذا الطريق ولذلك استعمل كثير من علماء السلف لفظ السنة في بيان المعتقد الصحيح ومؤلفاتهم في هذا كثيرة منها على سبيل المثال ما كان ضمن كتب السنن والمسانيد وغيرها ككتاب السنة والرد على الجهمية في سنن أبي داود وغيرها كثيرة ومنها ما

أفرد من مؤلفات في السنة للمروزي ولابن زمنين ولغيرهم من العلماء الذين ألفوا في بيان الاعتقاد الصحيح وسموا تلك المؤلفات بسم السنة وهذا المراد هنا. أي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجه في جانب الاعتقاد. فشرع هنا في بيان أصول الاعتقاد والأسس والمهمات التي قام عليها الاعتقاد الذي قال به السلف الصالح من الصحابة ومن جاء بعدهم من الأئمة نكتفي بهذا القدر اليوم وسنشرع في بيان هذه المسائل ابتداء من الغد ولعل ما ذكر في هذه المقدمة ما يكون مفيدا كمدخل لدراسة الكتاب والله أعلم وصلى الله على نبيا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال المصنف:رحمه الله:

(أصول السنة عندنا:التمسك بما كان عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والإقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة وترك الخصومات في الدين)

الشـرح

قال المصنف رحمه الله

(أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم)

هذه هي الأولى.

والإقتداء بهم .وهذه هي الثانية

وترك البدع وكل بدعة ضلالة.وهذه هي الثالثة

والرابعة.وترك الخصومات في الدين

هذه الأصول الأربعة التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى

هذه الأصول الأربعة هي أساس هذا الدين وهي الفارق بين أهل السنة وأهل البدعة وأهل السنة وأهل الأهواء

أولها التمسك بما كان عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا هو الفارق الرئيس بين أهل السنة وأهل الأهواء باختلاف مذاهبهم ومشاربهم وألوانهم وأزمانهم .والناس طائفتان.أهل سنة وأهل هوى

ولذلك قال الله تعالى { فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم } [القصص/٥٠]))فهي أما الاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم .وإما الاستجابة الأهل الأهواء.ودائرة أهل الأهواء هذه دائرة كبيرة تشمل كل من لم يستمسك بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم حقيقة لا الدعاء وإلا فالدعاوى عريضة وكل طائفة تنتسب لهذا الدين فهي تدعي أنها تتمسك بالكتاب والسنة ولكنه عند الحقيقة وعند الرجوع إلى الواقع العملي يتبين المستمسك حقيقة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والمفارق لها وإن الدعى ذلك فكل الطوائف تدعي أنها تستمك بالكتاب والسنة حتى الرافضة يدعون أنهم يستمسكون بالكتاب والسنة لكن إن رجعت إلى حقيقة أقوالهم ترى البون الشاسع بين هذه الدعوى وبين التطبيق العملي لهذه الحقيقة وعليه فإن الواجب على المسلم الحريص على نجاة نفسه أن يطبق هذا الأصل حقيقة في واقعه لا الدعاء. أن يجعل هواه

تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في كل أموره وفي كل شؤونه أما من الدعى إتباع الكتاب والسنة ويقدم هواه على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهذه دعوى والدعاوى إذا لم يكن عليها بينات من الواقع. الدليل العملي فأصحابها وأهلها أدعياء وعليه فإن السلف رحمهم الله تعالى وهذا أصل رئيس من أصولهم كما ذكرنا. يعتمدون في إثبات عقائدهم على النقل الصحيح عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم والتابعين وتابعيهم بإحسان يقدمونه على كل عقل أو ذوق أو كشف أو حس أو سياسة ولا يجعلون شيئا من ذلك معارضا له البتة وهذه كلها وغيرها يجمعها كما قلنا الهوى ولذلك يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى(إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث في ما يثبتونه وينفونه عن الله من صفاته وأفعاله فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات بل كل معنى صحيح فإنه داخل في ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم)ويقول الأصبهاني رحمه الله تعالى (غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار(لماذا)قال لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفا عن سلف وقرنا عن قرن إلى إن انتهوا إلى التابعين وأخذ التابعون من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا طريقة إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحابه .ثم قال: وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم وطلبوا الدين من قبلهما وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة إلى أنفسهم فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل. قال وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني "وهو واحد زمانه في المعرفة "قال ما حدثتني نفسي بشئ إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة فإن أوتي بهما وإلا رددته في نحره (أو في كلام نحو هذا رحمه الله تعالى)وقال أي الأصبهاني. وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم اخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف) وهذه من أبرز خصائص أهل السنة والجماعة وهي الوحدة الفكرية إن صح التعبير تجدهم على اختلاف أزمانهم وأماكنهم ولغاتهم وألوانهم وديارهم على كلمة سواء على طريقة واحدة على حجة واحدة وهذه أكبر أدلة الحق وهو أن الحق مع أهل الحق المتبعين للكتاب والسنة لماذا لأن المصدر واحد ومادام المصدر واحد لأن من أخذ منه أخذ من مشرب واحد فا اتفقت الآراء واتفقت الوجهة واتفقت الكلمة واجتمعت على حد سواء وهذه الميزة مفقودة عند أهل الأهواء لماذا لا اختلاف المشارب والمصادر والمنابع التي يستقون منها فالعقول مختلفة والأهواء متباينة وكل يرى أن ما استحسنه عقله هو الحق ولذلك تجد الإنسان في نفسه عنده من التناقضات ما لا يخفى فيقول في الليل ما ينقضه في النهار أو يقول بغيره

وتجد الإبن يخالف أباه في مثل هذه القضايا وتجد الطائفة الواحدة تختلف وتتطور من زمن إلى زمن ومن طائفة إلى طائفة حتى تتشعب وتختلف وهذه طبيعة أهل الأهواء ولذلك قيل أهل السنة والجماعة(وقلنا السنة في مقابل البدعة والجماعة في مقابل الافتراق والفرقة والاختلاف فالفرقة والاختلاف ملازم لترك السنة والوحدة والإتلاف ملازم الإتباع السنة وهذه قضية مطردة التاريخ شاهد عليها وعليه فإنه لا يمكن أن تجتمع كلمة المسلمين إلا على كلمة سواء وهي كلمة لا إله إلا الله فلا يمكن أن تجتمع كلمة المسلمين إلا على كلمة التوحيد ومن رام الإتلاف واجتماع الكلمة على غير هذه الكلمة فإن مآله إلى هباء)يقول رحمه الله وكان سبب إ تفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الإ تفاق والإتلاف وقال ولزم نص الكتاب وظاهر الحديث الصحيح اللذين هما أصول الشرعيات يقف بك على الهدى المستقيم وقد جاءت الآثار السلفية آمرة بإتباع الكتاب والسنة ولزومهما وقد بلغت حد التواتر) وهي كثيرة جدا

)قال المصنف:التمسك بما كان عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم(

وهذا ما أمرالله به نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى ({ فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم } [الزخرف/٤٣]) وهو المبالغة بالتمسك وجاءت في الآية الأخرى ({ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون } [آل عمران/١٠٣])وتلاحظون الأمر بالاعتصام في مقابل الاعتصام بحبل الله بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في مقابل النهي عن الافتراق فدل على أن وحدة الكلمة والاجتماع إنما هو في الاعتصام بالكتاب والسنة وعند التفلت من حقيقة هذا الاعتصام فالمآل إلى الاختلاف والافتراق ((ولا تفرقوا))ولذلك نص أكثر من واحد من أهل العلم على باب الاعتصام بالكتاب والسنة ومنهم الإمام البخاري" في صحيحه الذي ضمنه كتاب الإعتصام"وذكر فيه أحاديث كثيرة تدل على ما أشرنا إليه

ثم قال المصنف رحمه وهو الأصل الثاني (والإقتداء بهم) أي الإقتداء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستمساك بما كان عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة والإقتداء بهم (لماذا الإقتداء بالسلف وأولهم وقادتهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.هناك عدة أمور تدل على وجوب الإقتداء بالسلف رضوان الله عليهم وهنا يفترق الطريق فهناك من يدعي الاعتصام بالكتاب والسنة لكن المعيار الحقيقي لصحة الكتاب والسنة هو الإقتداء بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لاتجد أحدا من أصحاب الأهواء له سلف من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم البتة. لكن لماذا الإقتداء بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلف

هذه الأمة هناك عدة أسباب للأمر بهذا الإقتداء

أولها:قال ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس وعمران بن حصين .أن جميع ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه هو عن الله وفي كتاب الله فتأولوا فيه قول الله عز وجل {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب } [الحشر/٧]فكل ما أمر الله تعالى به أو نهى عنه هو في ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه ولذلك تأولوا هذه الآية على هذا المعنى العظيم .هذا الأمر الأول

الأمر الثاني:جاء (عن عطاء في قول الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وألي الأمر منكم) قال أولي الأمر أي أولي الفقه "أولي العلم "وطاعة الرسول أتباع الكتاب والسنة)هو في وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وطاعة أولي الأمر هي في طاعة أولي الفقه وأولي العلم وهم الذين يدخلون دخولا أوليا في هذه الآية كما هو معروف ويدخل في ذلك أيضا ولاة الأمر وهم أهل الحل والعقد أهل الولاية وأهل الحكم الذين أمر الله في كتابه بطاعتهم وفي هذا يقول مجاهد وهو الأمر الثالث (قال ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)) قال أهل العلم والفقه ((فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا } [النساء/٥٩] قال كتاب الله وسنة نبيه ولا تردوا إلى أولي الأمر شيئا) يعني إن حصل النزاع بينكم وبين أولي الأمر من أهل العلم والفقه فإن رد التنازع إنما هو للكتاب والسنة لا إلى المذهب الفلاني ولا إلى الطائفة الفلانية ولا إلى الشيخ الفلاني إنما إن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول

رابعا: قال الحسن(إن أغبط الناس قوم قرأوا هذا القرآن وعملوا بسننه وإن أحق الناس بهذا قوم عملوا بما فيه وإن كانوا لا يقرؤونه وإن هذا القرآن وثاق أوثق الله به المؤمنين) وإن كانوا لايحسنون القرآءة لكنهم يعملون بما فيه

الأمر الخامس:قال (عبد الله بن مسعود إنا نقتدي ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر) .نقتدي بسلفنا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن سبقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نبتدي أي نبتدع من عندنا شيء لم يأتي في الكتاب السنة ولم يقل به سلف الأمة(

الأمر السادس (قال محمد بن سيرين.كانوا يرونه على الطريق ما كان على الأثر) يرون الإنسان السالك للطريق الموصل إلى رضوان الله تعالى الجنة الموصل إلى طريق النجاة مادام على الأثر))

وهذا للفظ من محمد بن سيرين يبين أن أتباع الأثر يؤدي إلى الوصول إلى المطلوب فمن فقد شيئا وأقتفى أثره فلا بد أن يصل إليه كذلك السالك طريق النجاة عند الله سبحانه وتعالى فإنه مادام

مستمسكا بالأثر المأثور في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الأمة فهو على الطريق ولابد أن يصل إلى مبتغاه فكانوا يرونه على الطريق ما كان على الأثر.

وقريب من القول السابع قول شداد بن أوس (ليس طريق أقصد إلى الجنة من طريق من سلك الآثار) أقصد طريق يوصل إلى رضوان الله والجنة هو طريق من سلك الآثاريعني آثار سلف هذه الأمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان

الأمر الثامن:قول حذيفة رضي الله عنه (اتقوا الله يا معشر القرآء خذوا طريق من قبلكم فوا الله لئن سبقتم لقد سبقتم سبقا بعيدا وإن تركتموه يمينا أو شمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا) نصيحة من حذيفة رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم أنتم أي عليكم بطريق من سلف من قبلنا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان فإن كانوا سبقونا فقد سبقونا بمنازل عالية موصلة إلى الله سبحانه وتعالى وإن بحثنا عن طريق موصل إلى رضوان الله تعالى عن غير طريقهم فإن هذا دليل على الضلال و البعد عن الطريق الموصل إلى رضوان الله سبحانه وتعالى

القول التاسع هو قول الزهري رحمه الله تعالى (كان ممن مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يقبض سريعا فنعش العلم ثبات الدين والدنيا وذهاب العلماء ذهاب ذلك كله) فالسنة بمثابة سفينة نوح عليه السلام من لحق بها نجا ومن حاد عنها هلك وإن قال سآوي إلى جبل يعصني من الماء لماذا لأنه لا عاصم اليوم إلا من رحم الله فالنجاة في سلوك طريق من سبق من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وآخر هذه الأقوال هي الوثيقة العمرية من عمر بن عبد العزيز رحمه الله فهي وثيقة ومنهاج لسبيل النجاة يقول (سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تطبيق لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس الأحد تغيرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بها بما سنوا اهتدى ومن استبصر بها بصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا قال والتمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والإقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة)وهذا هو الأساس والأصل الثالث من هذه الأصول المهمة والعظيمة وهو ترك البدع و الابتداع والبدعة هو ما خالف السنة كما هو ظاهر من بيان التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكد ذلك بترك البدع و الابتداع في الدين ؛وللعلماء في تعريف البدعة في معناها اللغوي معاني متعددة فتطلق على الشئ المخترع والمحدث والطارئ على غير مثال سابق وتستعمل في الخير والشر ولكنها في الغالب لا تستعمل إلا على سبيل الذم في معناها اللغوي أما من حيث المعنى الشرعي (فقد حكم

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وكل بدعة ضلالة) وقد عرف عدد من العلماء البدعة بمعناها الاصطلاحي قال شيخ الإسلام ابن تيمية (البدعة في الدين هي مالم يشرعه الله ورسوله وما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله وإن تنازعوا في الأمرفي بعض ذلك كان مفعولا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يكن مفعولا)وعرفها ابن رجب الحنبلي رحمه الله فقال (البدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة)وفي هذا يشير رحمه الله إلى التمييز بين البدعة المذمومة وبين المصالح المرسلة. ويتضح ذلك بقوله (أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة) قد يطلق عليه بدعة في اللغة لكن مادام له مستند شرعي فإنه لا يعد من البدع المذمومة ويدخل في ذلك ما يسميه العلماء بالمصالح المرسلة مثل جمع القرآن وجمع المصلين على إمام واحد في صلاة التراويح وهي التي قال عمر فيها نعمة البدعة هذه لأن لها أصل شرعي وقد فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وفعلها الصحابة وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم لكن أمتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستمرار في ذلك مخافة أن تفرض إذا فالتراويح لها أصل وهذا إحياء لها وإن أطلق عليها أنها بدعة من حيث المعنى اللغوي لكن مادام أن لها أصل شرعي فإنها خارجة عن البدعة المذمومة

وعرفها السيوطي فقال ((البدعة عن فعلة تقابل الشريعة بالمخالفة أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان)) جميع هذه المعاني كلها صحيحة وكلها مميزة بين البدعة المذمومة والمصالح وبين المصالح المرسلة جمعها الإمام الشاطبي رحمه الله وهو ممن كان له عناية فائقة خاصة بتحرير هذا الموضوع خاصة في كتابه المشهور الاعتصام قال ((بأن البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى)) "طريقة في الدين مخترعة" يعني ليس لها أصل "تضاهي الشرعية" يعني ليس لها أصل شرعي.يخرج ذلك المصالح المرسلة."يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله عز وجل" هذا يخرج البدع العادية التي لا تدخل في باب التعبد فإنها لا تدخل في البدع المذمومة

ولنا مع هذا التعريف وقفة. فقوله طريقة في الدين. فهذه تخرج الطريقة في الدنيا من المخترعات والمحدثات وغيرها فهذه لا تدخل في تعريف البدعة في المعنى الاصطلاحي الشرعي

مخترعة.يعني ليس لها أصل. في الدين تضاهي الشرعية.يهني تشابه وتلبس لبوس الشرعية

.يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى.

وهذا هو أرجح الأقوال وأجمعها في تعريف البدعة .لا نريد أن نقف طويلا عند هذا التعريف لكن

نشير إشارة إلى أقسام البدع.فالبدع يمكن تقسيمها باعتبارات مختلفة وهذه الاعتبارات تصل إلى ثمانية اعتبارات.

الاعتبار الأول: تقسيم البدعة إلى بدعة حقيقية وبدعة إضافية

البدعة الحقيقية:هي التي ليس لها شبيه ولا نظير في الشرعية يعني بدعة ظاهرة حقيقية ليس لها أصل في الدين نهائيا.ومنها على سبيل المثال بدع الاتحادية وبدع التثليث وغيرها من البدع البينة الواضحة .

أما البدعة الإضافية:فهي ما كان لها أصل في الشريعة لكن زيد عليها فأخرجها من السنة إلى البدعة.مثال ذلك مطلق الذكر لله عز وجل هذا له أصل في الشرع ومأمور به لكن أن نجعل الذكر بهيئة معينة في زمن مخصص بعدد مخصص أخرجها من السنة إلى البدعة .وهنا سميت بدعة إضافية لا حقيقية لأن لها أصل لكن إضافة هذا التخصيص وهذا العدد وهذا الزمان أو المكان أخرجها من كونها سنة يثاب عليها إلى كونها بدعة مذمومة يعاقب عليها.وهناك

البدعة العادية والبدعة التعبدية:

البدعة العادية:هي ما لا يقصد العامل لها التعبد لله عز وجل وهذه يدخل فيها جميع أمور الحياة المباحة ولا يدخل فيها الذم

البدعة التعبدية: هي ما يقصد بها التعبد والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

البدعة الفعلية والبدعة التركية

البدعة الفعلية:هي فعل مالم يشرعه الله ورسوله على سبيل التعبد.أي يتعبد الإنسان بغير ما شرع الله

البدعة التركية:وهي ترك المباح تعبدا لله كأن يترك الإنسان أكل اللحم أو النكاح أو النوم على سبيل التعبد لله وهكذا

البدع الكلية والبدع الجزئية.فهناك بدع تتعلق بقضايا كلية يترتب عليها أشياء وبدع جزئية يعني في بعض الفروع

فالبدع الكلية: مثل قضية التحسين والتقبيح العقلي عند المعتزلة هذه بدعة كلية يندرج تحتها كثير من البدع

البدعة الجزئية: أن تكون في جزئية معينة لا يترتب عليها شئ من البدع الأخرى وهناك قريب من هذا التصنيف أو التنويع

بدعة بسيطة وبدعة مركبة

البدعة البسيطة: هي التي لا يترتب عليها غيرها

البدعة المركبة: هي ما يترتب عليها بدع أخرى مثال ذلك بدعة الرفض هذه بدعة يترتب عليها

بدع كثيرة جدا على خلاف البدعة البسيطة.

هناك البدع المكفرة .والبدع غير المكفرة: وهذه مشهورة معروفة

علامات أهل البدع:

(١أول علامات أهل البدع. الفرقة والاختلاف. تبدأ البدعة واحدة ثم تتشعب وتتفرق وهذا أمر ملازم لترك الالتزام بالكتاب والسنة كما أسلفنا

(٢الأمر الثاني. إتباع الهوى. وهذا أمر ملازم لكل مبتدع فهو متبع لهواه لامتبع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

الأمر الثالث.إتباع المتشابه: كما قال الله عز وجل{ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب } [ال عمران/٧]

فالله سبحانه وتعالى ذكر المسلكين والمشربين مسلك ومشرب الراسخين في العلم وهم الذين يتلقون الكتاب والسنة ويقولون آمنا به كل من عند ربنا

المسلك الثاني: وهو مسلك الذين في قلوبهم زيغ وميل وانحراف وهم الذين يتبعون ما تشابه منه يتبعون ما وافق أهواهم فما وافق أهواهم من النصوص أخذوا به حتى وإن لم يصح سندا وما خالف ردوه وتركوه على وسائلهم المعروفة في هذا وإن كان متواترا

العلامة الرابعة:معارضة السنة بالقرآن.إذا قيل لهم هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا فالله سبحانه وتعالى يقول كذا فهل يا ترى ممكن أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بما يخالف القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم أصل رسالته إنما جاء ليبين للناس ما نزل إليهم من ربهم لذلك تجدهم يستدلون بعمومات القرآن في رد السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم

العلامة الخامسة:بغض أهل الأثر أهل السنة.ولذلك تجدهم يلمزون فيهم ويطعنون فيهم ويسبونهم ويرمونهم بالكذب ويرمونهم بالألقاب مختلفة وكثيرة.وهذا حال أهل الباطل في كل زمان ومكان والنبي صلى الله عليه وسلم وهو إمامنا وقدوتنا قدوة أهل الأثر وأهل الحق وأهل السنة قالوا ساحر وقالوا مجنون وقالوا كاهن إلى غير ذلك م التهم والأباطيل التي قالوها فيه صلى الله عليه وسلم

العلامة السادسة:ترك انتحال مذهب السلف.قد يدعي انه متبع للكتاب والسنة لكن إذا طالبته بالإقتداء بمن سلف من صحابة رسول الله عليه وسلم لا يقبل البتة

العلامة السابعة:تكفير مخالفيهم. ولذلك يقول بعضهم نكفر من كفرنا أو من خالفنا فليس عندهم ضوابط للتكفير منضبطة بقواعد شرعية واضحة وإنما هي على حسب أهوائهم فمن خالفهم كفروه

ومن وافقهم قبلوه وحسنوا طريقه وما هو عليه هذا في ما يتعلق في ترك البدع

قال((وكل بدعة ضلالة)) وهذا مأخوذ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

والمراد من ذلك الرد على من استحسن بعض البدع،وقال :أنها تعتريها "الأحكام الخمسة"

وهذا مأثور عن بعض الفقهاء والواقع والدليل يخالف ذلك ، والذين عده من البدع الحسنة خاصة من المتقدمين: كالعز ابن عبد السلام ، والقرافي ومن قبلهم مثل ما روي عن الإمام الشافعي رحمه الله وإن كان في نسبة هذا القول إليه نظر.لكن الحق أحق أن يتبع.

نقول إنما عدوه من البدع الحسنة هو في الحقيقة لا يدخل في مسمى البدعة المذمومة وإنما يدخل في مسمى المصالح المرسلة التي لها أصول ولذلك يدخلون في هذه البدع الحسنة صلاة التراويح ويدخلون فيها جمع القرآن ويقولون هذا من البدع الحسنة ونحن إن قلنا إن هذه لها أصول شرعية ولذلك تخرج عن مسمى البدعة المذمومة ويبقى الأصل والقاعدة والأساس وهو حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين قال وكل بدعة ضلالة أما الأمور التي تدخل تحت القواعد الشرعية فإنها مما يسمى بالمصالح الشرعية ولا يعد بدعة وإن أطلق عليها لفظ البدعة من حيث المعنى اللغوي كما أطلق عمر رضي الله عنه ذلك على صلاة التراويح وهي معروفة أن لها أصل سابق فهذه ليست بدعة شرعية لدخولها تحت قواعد الشريعة لكن تسمى بدعة لغوية كما أطلق عمر رضي الله عنه ذلك وقال نعمة البدعة هذه.

قال رحمه الله((وترك الخصومات في الدين:((

هذه من أصول السنة المعروفة الظاهرة.الجدال في الدين وهو على نوعين منه ما هو مذموم.

كما قال تعالى { وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون } [الزخرف/٥٨]) وقال سبحانه وتعالى{ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد } [اغافر/٤]) وقال تعالى { وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب } [غافر/ ٥]) فهذا من الجدل المذموم ومن الخصومات في الدين.والجدال على ثلاثة أنواع أشار إليها القرآن

أولها:كما هو نص الآية:المجادلة بالباطل لدحض الحق.قال سبحانه (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) لرد الحق

الصورة الثانية:المجادلة في الحق بعدما ما تبين كما قال تعالى.{ يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون } [الأنفال/٦] الحق واضح ومع ذلك يجادلونك فيه.

الصورة الثالثة:المجادلة في ما لا يعلم المحاج والمجادل.كما قال سبحانه { ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون } [آل عمران/٦٦])

فهناك من الجدل والخصومة ماهو مذموم على لسان الشارع لأن الخصومات في الدين مدعاة للفرقة والاختلاف والفتنة ومجلبة أيضا للتعصب واتباع الهوى التي هي ومطية للإنتصار للنفس والتشفي من الآخرين وذريعة للقول على الله بلا علم ولهذا جاء ذم الخصومات والجدل في الدين على ألسنة السلف رحمهم الله تعالى.

أخرج الآجري بسنده عن مسلم بن يسار أنه قال "إياكم والمراء في الدين فإنه ساعة جهل العالم وبها يبتغي الشيطان زلته" أي يوقعه في الزلل عند احتداد الخصومة والجدل والمناظرة ومحاولة الانتصار يكون حظ النفس موجودا في مثل هذا المقام قد يقول خلاف الحق.

وعن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى قال"من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل"" فما دام الإنسان يجادل في دينه يجادل في معتقده كل من هب ودب أصبح يتنقل من دين إلى دين فلا يثبت على طريقة.

وعن جعفر بن محمد رحمه الله تعالى أنه قال"إياكم والخصومات فإنها تشغل القلب وتورث النفاق" تشغل القلب عن حقيقة الدين والالتزام به وتورث النفاق:

المجادلة المحمودة.هذه جاء الحث عليها ومدحها في كتاب الله عز وجل.قال تعالى{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين } [النحل/١٢٥]) وهذه الصورة محمودة على لسان الشارع وقال تعالى{ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون } [النساء/العنكبوت/٤٦] وقال تعالى{ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين } [البقرة/٢٥٨] وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم تحاج آدم وموسى.وغيرها من الصور.وهذا يجرنا إلى معرفة الضوابط المميزة بين المجادلة الممدوحة وبين المجادلة المذمومة وهذه الضوابط ترجع إلى ثلاثة أمور.

أولها:ما يتعلق بالنية. فهل النية من أجل الانتصار وهل هو ولكسر الخصم أو الظهور عليه أو الإستعلاء أو التعالم أو لأجل إظهار وبيان الحق وهداية المجادل.فالنية أساس في هذا المقام كما هي أساس في كل عمل "إنما الأعمال بالنيات" كما قال صلى الله عليه وسلم

الضابط الثاني: ما يتعلق بموضوع المجادلة:فإن كل مسألة من مسائل العلم أمكن عن طريق المجادلة التوصل إلى الحق فيها وإلزام الخصم به فالمجادلة فيها محمودة وكل مسألة نهى الله عن الجدال فيها أو لا يمكن أن يتوصل إلى الحق فيها لقصور العلم البشري عن إدراكه فالمجادلة فيها المذمومة كالذين

يجادلون في القدر وفي أفعال الله وغير ذلك من الأمور فهذه لا تؤدي إلى نتيجة لقصور العقل عن إدراكها فالجدل فيها مذموم ممنوع ولذلك جاء المنع من المجادلة في مثل هذه الأمور أما إذا كان لإبراز حق ورد باطل فإن هذا من المجادلة المحمودة.

الضابط الثالث:في ما يتعلق بالمجادلين الذين يجادلون لإقامة الحجة عليهم.

فالمجادلة تتأثر من حيث مدحها وذمها بأحوال المجادلين وما يقوم بهم من صفات فتكون ممدوحة في حق بعضهم ومذمومة في حق البعض الآخر فالعلم شرط أساس في المجادلة وإلا كانت مذمومة .بعض الناس يجادل وليس عنده علم وهذا يترتب عليه من المفاسد مالا يخفى ولذلك نقل الشاطبي في الإعتصام عن الإمام مالك رحمه الله تعالى " أن رجلا من أهل السنة كتب إلى أنس بن مالك أن بلدنا كثير البدع وأنه ألف كتاب في الرد عليهم فكتب إليه مالك إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل فتهلك قال لا يرد عليهم إلا من كان ضابطا عارفا بما يقول لهم. .لا يقدروا أن ينتصروا عليه أو يردوا مجادلته فإذا كان كذلك فهذا لا بأس به أما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه أو يظفروا منه بشيء فيطغوا عليه ويزدادوا تماديا على ذلك " فأحيانا في المناظرة مثلا يأتي صاحب السنة ضعيف الحجة والقدرة على المجادلة فيتغلب عليه صاحب البدعة فيكون ذلك نشر للبدعة ومفسدة للحق وهذا راجع لطبيعة المجادل الذي يجادله ولذلك نهى السلف عن مجادلة بعض أهل البدع لهذا السبب لما كان يغلب على ظنهم عدم قبولهم ورجوعهم للحق فإنه إذا والحال هذه لا مصلحة في المجادلة ولهذا جاء في رسالة الإمام أحمد لمن سأله عن حكم الرد على أهل البدع قال فيها"إنما الأمور في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم فإنهم يلبسون عليك ولا يرجعون" تجد الآن بعض الشباب الطيب المتحمس يدخل في بعض المواقع للرافضة للرد عليهم وهو ضعيف البضاعة فيبثون ويزرعون عنه من الشبه ما ليس عنه من القدرة ومن العلم ما يرد به على هذه الشبه فيكون في ذلك من المفسدة مالا يخفى ولذلك

لا يجادل ولا يناظر ولا يدخل معهم إلا من كان عنده حصيلة وقوة من العلم لإقامة الحجة ودحض البدعة والشبهة أما الضعيف فإنه قد يلبس عليه بما عنهم من الشبه وكما تعرفون فالشبه خطافة وعلى أقل تقدير يشككونه في الثوابت والأصول الذي عنده فيترتب على ذلك من المفاسد ما لا يخفى فأما مسألة والمناظرة والمحاورة والمجادلة لا يخوضها إلا المؤهل لمثل هذه الأمور الخطيرة لما يترتب على الخوض فيها من آثار ومزالق خطيرة قد تكون سببا في مفاسد كبيرة يريد بيان الحق فيقع في شبهات تشوش عليه ثوابته ودينه ومعتقده ثم قال (والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم) من الأصول عندنا اهل السنة آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والسنة تفسر القرآن

فمن علا مات أهل البدع أنهم يضربون السنة بالقرآن فالسنة تفسر وتبين القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم أصل رسالته أن يبن للناس ما نزل إليهم ولعلهم يحذرون ولا يمكن أن يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يخالف القرآن البتة وهذه قاعدة فإذا رأيت من يضرب كتاب الله بعضه ببعض أو يضرب القرآن بالسنة أو السنة بالقرآن فاعلم أنه من الذين في قلوبهم زيغ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة أو لئك الذين عناهم الله فاحذروهم وهي من علامات أهل البدع قال (وهي دلائل القرآن) فالسنة هي التطبيق العملي الواقعي للقرآن قال (وليس في السنة قياس) لماذا لأن أئمة المسلمين وأهل السنة متفقون على أن ماجاء صلى الله عليه وسلم لا تدركه كل عقول الناس فلا يمكن أن تحيط به ولا يمكن أن تدركه به العقول فلا يمكن أن يقاس عليه ولا أن تضرب له الأمثال ولو أدركوه بعقولهم ولو كنا ندرك بعقولنا ماجاء في الكتاب والسنة لستغني عن الرسول ولم يكن فيه حاجة الإرسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. قال(ولا يجوز أن يعارض بالأمثال المضروبة له فلا يجوز أن يعارضه الناس بعقولهم لأن العقول لا تدرك هذا الأمر) فمن قال للرسول صلى الله عليه وسلم مثلا أنا أصدقك إذا لم تخالف عقلي وأنت صادق فيما لم تخالف فيه الدليل العقلي فإن كان يجوز على الرسول أن يخالف دليلا عقليا صحيحا لم يكن مؤمنا حقيقة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذه نقطة جوهرية عند المتكلمين أصحاب العقول في الأمور الغيبيات التي لا مجال للعقل فيها مع ذلك يقولون لا نسلم بها إلا عند الإمكان العقلي إذا ثبتت سمعا وأمكنت عقلا ،هل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بما يخالف العقل القاعدة المعروفة أن العقل السليم لا يخالف النقل الصحيح وهذه قاعدة مطردة لا خلاف فيها والعقل السليم هو الذي يدل على التسليم للنقل الصحيح والاستسلام له العقل لا شك أن له دور في فهم معاني كلام الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ومقاصدها وغير ذلك من الأمور وعديم العقل مرفوع عنه التكليف كما هو معروف لكن أن يجعل العقل هو المهيمن هو المقدم يعرض الكتاب والسنة على العقل فإن قبله وإلا رد فهذا لا شك أنه من تقديس العقل وهذا من العقل المريض لا العقل السليم الصافي ولذلك هذه المسألة من المسائل الخطيرة جدا وهي مزلة أقدام عظيمة جدا ولهذا يقول أبو المظفر السمعاني في قاعدة سنية سلفية في غاية الأهمية (اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هي مسألة العقل فإنهم أسسوا دينهم على العقول وجعلوا الإتباع والمأثور تبعا للمعقول) هذه مسألة في غاية الأهمية فا الأصل اتباع العقل للكتاب والسنة لا حكما عليهما وسنأخذ نماذج تدل على أن حقيقة الإسلام هو الاستسلام للنص ويكون العقل تابعا له.فعن ابن جرير أن طاووس أخبره أنه سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن الركعتين بعد العصر فنهاه عنهما قال طاووس فقلت له ما أدعهما قال ابن عباس قال تعالى{ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من

أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا } [الأحزاب/٣٦] يأتيك الأمر من الله ورسوله ثم بعد ذلك تعارض فهذا دليل على عدم التسليم ومخالفة لهدي المؤمن الذي لاخيرة له ولا اختيار له في عقله وهواه لأمر ثبت وورد فيه النص. وإليك مثال آخر(عطس رجل عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال الحمد الله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله بن عمر وأنا أقول الحمد الله والسلام على رسول الله لكن ليس هكذا علمنا رسول الله علمنا أن نقول الحمد الله على كل حال) وهذه تدخل في البدع الإضافية فالسلام على النبي صلى الله عليه وسلم لكن أن تجعله مع الحمدلة بعد العطاس هذا مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال رجل للإمام مالك من "أين أحرم قال من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أريد أن أحرم من المسجد قال لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة قال وأي فتنة في هذا إنما هي أميال أزيدها قال وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم إني سمعت الله يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم } [النور/٦٣]) فقوله إنما هي أميال أزيدها هذا من ناحية تحكيم العقل وهذا من الناحية العقلية أمر مقبول لكن الإمام مالك قال أخشى عليك الفتنة وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذه المخالفة اليسيرة في النظر العقلي تؤدي إلى الفتنة ((فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة)) "ورأى سعيد بن المسيب رجل يصلي بعد الفجر أكثر من ركعتين فنهاه فقال الرجل يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة فقال لا لكن يعذبك على خلاف السنة" يعذبك على خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الإتباع. ولذلك من خصائص وأصول أهل السنة الاستمساك بالمأثور ولذلك يقول سفيان الثوري "إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل" ولذلك قال أحدهم "ما رأيت مثل أهل الحديث يحمل أحدهم محبرته ويقول كيف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أكل كيف نام كيف قعد كيف مزح" وهذا هو الإتباع أن يجتهد الإنسان في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل أموره ونختم بهذه القصة اللطيفة للإمام احمد رحمه الله نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية .معروف أن الإمام احمد يستحب متعة الحج لا متعة الرافضة ويأمر بها وهي مقصود التحلل بعمرة لمن جاء في أشهر الحج ثم الإحرام بالحج بعد ذلك حتى أنه يستحب ذلك هو وغيره من

الأئمة لمن أحرم مفردا أن يفسخ ذلك في عمرة لأن الأحاديث الصحيحة جاءت بذلك قال سلمة بن شبيب للإمام احمد يا أبا عبد الله قويت قلوب الرافضة لما أفتيت أهل خرسان بالمتعة لأن الرافضة يرون لزوم المتعة وهذا حق والحق يقبل ممن جاء به طبعا هم ليسوا أول من قال به فابن عباس يرى وجوبها وغيره من فقهاء الصحابة لكن لما أفتى الإمام احمد باستحباب بل أحيانا بوجوب

المتعة في الحج وهو الفسخ بعمرة قال له سلمة بن شبيب إنك قويت قلوب الرافضة يعني قلت بقولهم وفي هذا تشجيع للرافضة فقال الإمام احمد يبلغني أنك أحمق وكنت أدافع عنك والآن فقد ثبت عندي أنك أحمق عندي أحد عشر حديثا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم أتركها لقولك يعني أترك هذا القول لأن الرافضة تقول به وهذا معنى حقيقة الإتباع وهو عدم التعصب للرأي أو المذهب أو حتى مخالفة الآخرين لأن من المعروف في مذهب الرافضة تعمد المخالفة في كل شيء كما هو مذهب أشياخهم من اليهود وجاء النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفة المشركين من كل الأجناس بما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم لكن الحق أحق أن يتبع وإن قال من قال به من أهل البدع ولهذا يقول ابن القيم"كان يشتد عليهم معارضة النصوص بآراء الرجال ولا يقرون ذلك مهما كان "وفي هذا لما "روى الشافعي يوما حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله بن الزبير الحميدي قال قلت له أتأخذ به فقال رأيتني خرجت من كنيسة أو علي زنار حتى إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لا أقول به " فلا يقول بمخالفة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إنسان لا يؤمن بالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا. وهناك قصة في اتهام بعض المعاصرين أهل السنة بأنهم غير عقلانيين وأنهم أصحاب قشور وأتباع للظواهر ولا عندهم عقل وهذا موضوع الدرس القادم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد
استكمالا لما سبق في الدرس الماضي .بعد أن ذكرنا موقف أهل السنة والجماعة من الآثار ألا وهو الإيمان والتسليم والانقياد وجعل العقول تابعة للنص لا حكما عليها وذكرنا في ما تقدم كلام أبو المظفر السمعاني رحمه الله في بيان الفرق بين أهل السنة ومخالفيهم من ناحية العقل ولآن كثر مدعوا العقل والزاعمون بأنهم يقولون بالعقل ويتبعون العقل ومن المعلوم المقطوع به أنه لا يتصور أصلا التعارض بين ما صح نقله ودل عليه العقل السليم بل إن ذلك من المستحيلات وعند وجود شئ من هذا التعارض فهو إما أن يكون النقل غير صحيح كأن يكون مستند إلى دليل غير صحيح . حديث ضعيف . أو نحو ذلك وأما أن يكون العقل غير سليم وإلا فإن العقل السليم يقتضي التسليم للنص والانقياد له والمتابعة له ولا يمكن تصور عقل سليم يدل على مخالفة نص صحيح وكما مر معنا أن من علامات أهل البدع التشنيع على أهل السنة أتباع الآثار فإن من هذا التشنيع وهذه التهم الباطلة الزعم بأن المنهج السلفي منهج غير عقلاني وإنما هم أتباع لظواهر النصوص لا يعملون عقولهم في تفتيت وتفكيك النصوص وسبر أغوارها والنظر في مكنوناتها ويعلون عقولهم في فهمها فجاءت هذه القطعة الحوارية لترد على الذين يتهمون السلف بأنهم غير عقلا نيين وإنما العقلانيون هم أولئك الذين يأولون النصوص بل يردونها بحجج وشبهات تافهة كالقول بالمجاز أو التأويل أو اشتراط التواتر أو غير ذلك من الأمور.(قال صاحب العالم السلفي له وهو يحاوره إنكم معشر السلفيين متهمين بأنكم لستم بعقلانيين. قال العالم السلفي.إذا كان المقصود بالعقلانية قبول مقتضيات العقل بأن نقبل النتائج التي تؤدي إليها الحجة العقلية الصحيحة بأن لا نقبل التناقض ولا تقبل دعوى إلا بدليل وإذا كان المقصود به إعمال العقل والتفكر فنحن أجدر من غيرنا بوصف العقلانية .قال صاحبه.كيف تكونون أكثر عقلانية من غيركم وفيهم من يقدم العقل على النص أليس مثل هذا أجدر بوصف العقلانية منكم.قال العالم.بل هذا من قلة العقل(الذي يقدم عقل على النص هذا دليل على قلة عقله) قال صاحبه كيف.قال العالم.أليسوا مسلمين ومسلمين بدلالة عقولهم على أن محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى عليه وسلم وأن الكتاب الذي جاء به هو كلام الله تعالى.قال له صاحبه بلى.قال العالم فقد علموا إذا أن ما قاله الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم هو الحق الذي لا ريب فيه.قال له صاحبه أجل. قال العالم فما معنى أن نجعل العقل فوق الكلام تعلم أنه الحق دلك عقلك على أنه الحق.(وهذه حجة قوية) قال صاحبه.فما تقولون أنتم معاشر السلفيين قال العالم نقول ما قال كثير من أإمتنا أن ما دل عليه العقل الصريح لابد أن يكون موافقا للنقل الصحيح فإذا حدث خلاف بينهما في أمر معين فلا بد أن يكون راجعا إما إلى خطإ في نقل النص أو فهمه أفي أن ما نسب إلى العقل ليس في الحقيقة بعقل صريح.قال له صاحبه.إن هؤلاء المسمين بالعقلانيين يقولون إنكم لا يمكن أن تكونوا عقلا نيين وأنت تبنون

دينكم على التبعية لأناس لا مزية لهم إلا أنهم سلف عاشوا في الماضي.(وهذا الجواب عليه ما سبق الإشارة إليه في الدرس الماضي من أن من أصول أهل السنة الاقتداء بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فهم جعلوا هذا الاقتداء عيبا مع أنه من أصول السنة قال العالم السلفي.(وهذه قواعد منهجية) نحن أولا لا نأخذ ديننا من الرجال سواء كانوا في الماضي أو في الحاضر إن مصدر الدين عندنا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا نقدم عليهما غيرهما كما أمرنا الله بقوله { يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم } [الحجرات/١] قال صاحبه.فما صلتكم بأولئك السلف إذا.(وهذا يعطي المبررات والأسباب التي تحض على أتباع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالح بل نفهم النصوص على ضوء فهمهم) قال العالم السلفي.دعنا أولا نحدد ماذا نعني بالسلف.السلف عندنا هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التابعون لهم ثم تابعوا التابعين وصلتنا بهم هي الاقتداء بهم في فهم الدين وتطبيقه لأسباب إذا تدبرها الإنسان العاقل وجدها في غاية العقلانية. قال صاحبه ما هذه الأسباب.قال العالم السلفي.منها أولا أن الله تعالى قد أثنى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء يدل على فقههم لدين الله وإخلاصهم للعمل به ومن ذلك قوله تعالى ({ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا } [الفتح/١٨]) وقال تعالى (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون } [الحجرات/٧] فهذه شهادة من الله تعالى ((أولئك هم الراشدون)) فلماذا لا نقتدي بهم ونتبعهم في فهم ديننا في فهم النصوص التي أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم قوم أختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وشاهدوا التنزيل والمشاهد كلها وسمعوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه واتبعوه واقتدوا به وسألوه عما أشكل عليهم أليسوا أولى بالاقتداء والأتباع وفهم الدين كما أنزل من غيرهم

الأمر الثاني الموجب لهذا الأتباع أن الرسول صلى الله عليه وسلم شهد لهم بالخيرية فقال عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والخيرية تتضمن الفقه في الدين وحسن العمل به كما قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خير يفقه في الدين

السبب الثالث.أن هذه الأجيال الثلاثة هي الأجيال التي نزل القرآن بلغتها وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانها فهي أجدر بأن تفهم كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم من غيرها ولأن الصحابة منهم عاصروا نزول الوحي وشهدوا المناسبات التي تكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلموا منه مباشرة كما نعلم بعضهم من بعض بلا واسطة

الأمر الرابع. أن الله تعالى بأن نقتدي بكل من شهد له أنه على الحق كما قال تعالى{ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين } [الأنعام/٩٠])

وهذا أمر إلهي فبهداهم أقتدي. قال صاحبه.لكن هذا معناه أنكم تجمدون على فهم قديم للدين ولا تسمجون بفهم جديد له والاجتهاد فيه.(ولذلك يتهمون أهل السنة بأنهم أهل جمود وعدم تجديد والفهم الجديد والفهم المعاصر الذي يتسق مع الحياة المعاصرة والواقع المعاصر والحضارة المعاصرة ولذلك يقول معناه أنكم تجمدون على فهم قديم للنصوص ولذلك نسمع بين الفينة والأخرى دعوات إلى فهم جديد وبدأت هذه الدعوات بفهم جديد لأصول الفقه وبفهم جديد للمصطلح وفهم جديد للنصوص وقراءتها قراءة جديدة. قال العالم السلفي.إنه لا يضير الفهم الصحيح أن يكون قديما أو جديدا (الهدف هو الفهم الصحيح للنص سواء كان هذا الفهم قديما أو جديدا لا ضير في ذلك) فنحن لا نزال نحاول فهم الشعر الجاهلي كما نفهمه من سبقنا ولا يزال الغربيون يحاولون فهم فلسفات اليونان كما فهمت في عصرها وثانيا أن مما نتلقاه من السلف هو ما يمكن أن نسميه بالإدراك الأساسي لمعاني النصوص وهو إدراك ضروري لكل تفكر في النصوص والاجتهاد فيها .قال له صاحبه.ماذا تعني.قال العالم السلفي.أعني أنك إذا لم تدرك المعنى الأساس للكلام فكيف تتأمله أو تتفكر فيه. قال له صاحبه.إذا فأنتم تعملون العقل حتى في فهم النصوص. قال العالم السلفي.أجل لأن ربنا يأمرنا أن نتدبر كتابه وهل يكون التدبر إلى بإعمال العقل.قال صاحبه.ما لفرق بينكم وبين من يسمون بالعقلانيين.قال العالم السلفي.نحن لا نسلم بأنهم هم العقلانيون بل نرى في منهجهم تناقضا بينا مع العقلانية كما ذكرت لك من قبل.قال صاحبه فما مجال العقل في الشرع في رأيكم.قال العالم السلفي.يعمل العقل في مجالات كثيرة بينها القرآن الكريم فمنها إدراك المعنى الأساس وهو إدراك عقلي يستوي فيه المؤمن والكافر الذي يتكلم اللغة التي نزل بها كتاب الله وتحدث بها رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى. { أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون } [البقرة/٧٥] ولذلك لا تفهم الآية إلا بإعمال عقلك فيما هو مراد الله تعالى من هذا النص ماذا يعني بل حتى الكتب المترجمة لمعاني القرآن هي من إعمال العقل في بيان معنى الآية ومعنى ما تكلم الله تعالى به (معنى ذلك أنه لا يفهم كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بإعمال العقل في إدراك المعنى الأساس الذي جاءت به النصوص) إن الإنسان لا يؤمن بكلام أو ينكره ولا يرويه على حقيقته أو يحرفه إلا بعد أن يعقله أما إذا سمع كلاما لا يفقهه فإنه لا يرده ولا يقبله لأنه لم يفهمه أصلا.قال صاحبه.شيء آخر يتهمونكم به ويعدونه مخالفا للعقل يقولون إنه على الرغم من أنكم تقرؤون قول الله تعالى{ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } [الشورى/١١]) إلا أنكم في الواقع تشبهون الله تعالى بمخلوقاته حين تصفونه بالاستواء استواء حقيقي ونزول حقيقي أو تقولون إن له عينا حقيقية ويدا حقيقية إلى...لخ.وهذا تشبيه مخالف للعقل.قال العالم السلفي.فما يقولون هم أيقولون أن الله تعالى يصف نفسه بأوصاف غير حقيقية.قال صاحبه.يقولون إن هذه الصفات لا يتصف بها على حقيقتها إلا المخلوقات ولذلك

فلا بد من تأويلها حين يوصف الله تعالى بها.قال العالم السلفي.هذا من قلة عقولهم وضيق عطنهم وإلا فأين وجدت في العقل ما يدل على أن الصفات الحقيقية هي صفات المخلوقات بل إن الذي يدل عليه العقل وتدل عليه المشاهدة هو أن للصفات معاني تأخذ كيفيات مختلفة بحسب الموصوف بها فالعين مثلا لها معنى واحد لكن عين الإنسان غير عين الحمامة وعين الحمامة غير عين الجمل وهكذا فإذا صح هذا في المخلوقات التي بينها شبه فلماذا لا يصح بالنسبة لله الذي ((ليس كمثله شيء)) إننا نعرف معاني الصفات مثل العين والاستواء والنزول والرحمة لكننا لا نعرف الكيفيات التي يتخذها حين يتصف بها الخالق سبحانه وتعالى وهذا هو معنى قول الإمام مالك (الاستواء معلوم والكيف مجهول) ثم إنك إذا جعلت لك قاعدة مطردة الا تصف الله تعالى بصفة يتصف بها بعض مخلوقاته بمعنى من معانيها انتهى بك الأمر إلى إنكار وجود الخالق لأنك لا تستطيع حينئذ أن تصفه سبحانه وتعالى حتى بأنه موجود ما دمت تصف مخلوقاته بأنها موجودة فمعنى ذلك إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى ولن ينفعك أن تقول أنك تلجأ إلى التأويل لأنك حين تأول لابد لك من استعمال صفة من الصفات كل ما هنالك أنك تستبدل الصفة بصفة أخرى.(تستبدل الصفة التي جاءت في الكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بصفة أخرى من عندك فهل تأول هذه ثم تأول الأخرى وهكذا إلى ما لانهاية .

إذا النتيجة من هذا كله وهي الزبدة أن السلفيين هم العقلانيون وأن العقل السليم هو ما دل على الاستسلام والانقياد والتسليم والأتباع لما دل عليه النص الشرعي فهذا هو العقل السليم من كل سقم ومن كل شبهة ومرض وبهذا يتبين أن العقل السليم هو الذي يدل كما قلنا على التسليم المطلق لكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعذرا أني أطلت في هذه المسألة لأهميتها وخطورتها ونسمع الآن في صحافتنا وفي إعلامنا وفي القنوات والحوارات أتهام أهل السنة بأنهم غير عقلانيين مع أن غير العقلانيين هم الذين يقدمون أوهامهم وأهوائهم التي سماها الله أهواء على نصوص الكتاب والسنة.نعود إلى الأصول التي ذكرها المؤلف من أصول أهل السنة قال(من أصول أهل السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة ولم يقبلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها قال و الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها ولا يقال لما وكيف إنما هو والتصديق والإيمان بها) لن نخوض في الكلام على القدر وتعريفه فهذا أمر معلوم واضح لكن نشير إلى أن العلاقة بين القضاء والقدر أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا والقضاء معناه ما يقضيه الله من إيجاد وإعلان أو تغيير والقدر ما قدره الله تعالى في الأزل ومعنى ذلك أن القدر سابق للقضاء.الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان وهو ظاهر جلي في النصوص قال تعالى{ إنا كل شيء خلقناه بقدر } [القمر/٤٩]) وحديث جبريل حين جاء يعلمنا أمر ديننا كما قال صلى الله عليه وسلم فذكر أركان الإيمان الستة ومن ضمنها الإيمان بالقدر خيره وشره.لكن هنا نشير إشارة موجزة إلى أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أركان

الإيمان في العديد من الآيات لم يذكر الإيمان بالقدر كما في قوله تعالى.{ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير } [البقرة٢٨٥]) وقال تعالى ({ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين } [البقرة١٧٧] في هذه الآيات لم يذكر الله الإيمان بالقدر مع أنه جاء صريحا في حديث جبريل فما معنى ذلك .معناه أن القدر داخلا في الإيمان بالله تعالى القدر هو فعل الله عز وجل وهو جزء من الإيمان بالله تعالى وهو جزء من الربوبية فيرتفع الإشكال بذلك

الأمر الثاني.أنه قال أن من السنة اللازمة الإيمان بالقدر خيره وشره.دل هذا على أن القدر فيه خير وفيه شر وهذا بالنسبة لما يقع على العبد .فهناك ما هو خير له وهناك ما هو في حقيقته شر فلذلك الإيمان بالقدر خيره وشره أما بالنسبة لله تعالى فإن الخير كله بيديه عز وجل وأن الشر ليس إليه سبحانه وتعالى لأنه ما من شيء قدره سبحانه وتعالى وإن كان في ظاهره فيه شر إلا أن لله فيه من الحكم ما لا يعد ولا يحصى ولذلك لم يرد وصف الشر أو نسبة الشر إلى الله سبحانه وتعالى البتة وإنما جاءت نسبة ما يحتمل أن يكون شرا أو فيه شر على أربعة أنحاء

١)أولها:أن يدخل في العموم كما في قول الله عز وجل { الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل }[] فالعموم هنا يدخل فيه الخير والشر.

٢) أن يأتي بحذف الفاعل فيكون مبنيا للمجهول كما في قول الله سبحانه وتعالى عن الجن { وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا } [الجن/١٠] فلما ذكر الشر حذف الفاعل ولما ذكر الخير ذكر الفاعل ((وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض)) من الذي أراده هو الله سبحانه وتعالى فحذف الفاعل تأدبا مع الله سبحانه وتعالى وهذه لها مثيلات في القرآن الكريم قال تعالى { أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم} [الفاتحة/٦/٧] الفاعل هنا هو الله المنعم { غير المغضوب عليهم ولا الضالين } [الفاتحة/٧] فهنا المغضوب عليهم ولأن الغضب شر حذف الفاعل مع أن الله سبحانه وتعالى هو الذي غضب عليهم.

٣) أن يضاف الشر إلى سببه لا إلى موجبه وخالقه. قال تعالى.({ قل أعوذ برب الفلق } [الفلق/١] { من شر ما خلق }) فنسب الشر إلى المخلوقات ({ ومن شر غاسق إذا وقب } [الفلق/٢] { ومن شر النفاثات في العقد } [الفلق/٣] { ومن شر حاسد إذا حسد } [الفلق/٤]) فنسب الشر هنا إلى الغاسق وإلى النفاثات وإلى الحاسد وهذه أسباب للشر وليست موجدة للشر فهو من باب ذكر الشر إلى سببه لا إلى موجده وخالقه.

٤) أن يضاف الشر إلى من وقع عليه لا إلى موجده وخالقه ويظهر ذلك في قوله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عن ربه سبحانه وتعالى.((وهو الذي يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين)) فنسب المرض إلى نفسه ونسب الشفاء إلى الله سبحانه وتعالى مع أن الشافي هو الممرض

سبحانه وتعالى.قال المصنف (الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه) لأنه جاءت بعض الأحاديث في القدر تشكل على بعض الناس مثل حديث على رضي الله عنه قال"خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا إلى بقيع الغرقد قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدنا حوله فأخذ عودا فنكت به الأرض ثم رفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال ما منكم من نفس منفوسة إلا وقد علم مكانها من الجنة أو النار شقي أو سعيد فقال رجل من القوم وجاء في بعض الروايات أنه عمر رضي الله عنه أفلا ندع العمل يا رسول الله ونقبل على كتابنا فقال رسول الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر فمن كان من أهل السعادة صار إلى أهل السعادة ومن كان من أهل الشقوة صار إلى الشقوة أو قال من كان من أهل الشقوة يسير لعملها ومن كان من أهل السعادة يسر لعملها ثم قرأ صلى الله عليه وسلم

{ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى} [الليل/٥/إلى ١٠]) وجاء في بعض الروايات قال عمر ولا ينال ذلك يا رسول الله إلا بالعمل قال نعم قال إذا نجتهد يا رسول الله فهذه من الأحاديث التي يجب أن نؤمن بها كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ونسلم لها .ومثل حديث ابن عمر" إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل "حديث صحيح فالقدر نؤمن به كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم سواء فهمنا معناه أو أدركته عقولنا أو قصرت عن فهمه وإدراكه .ومثل حديث ابن مسعود عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات بكتب علمه وأجله ورزقه وشقى وسعيد إلى قوله فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق إليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها "فمثل هذه الأحاديث نؤمن بها ونسلم لها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال المصنف

((ومن السنة اللازمة: الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها لا يقال لم ولا كيف إنما هو التصديق والإيمان بها)) وهذا يجرنا إلى إشارة موجزة إلى منشإ الضلال عند الفرق في القدر وما هو سبب انحرافهم وضلالهم.سبب انحرافهم وضلالهم راجع إلى جهتين.

الجهة الأولى:التسوية بين الإرادة الدينية والإرادة الكونية القدرية فسوو بينها ولم يفرقوا بينها كما فرق الله سبحانه وتعالى بينها في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فحصل اللبس والتخبيط والتشويش .فقالت الجبرية .الكون كله بقضاء الله وهذا حق.فيكون محبوبا مرضيا لله عز وجل كل ما فعل فيه فهو محبوب مرضي لله عز وجل وهذا غير صحيح .

والقدرية النفاة:قالوا المعاصي ليست محبوبة لله عز وجل وهذا (حق) قالوا وما دامت غير محبوبة لله عز وجل فهي خارجة عن مشيئته سبحانه وتعالى وهذا باطل فمنشأ الخلل هنا عدم التفريق بين الإرادة الدينية الشرعية الأمرية المقتضية للمحبة والرضى .وبين الإرادة الكونية القدرية المقتضية للوقوع والحصول.وهذا هو الوجه الأول

الوجه الثاني:الخوض في المشيئة والقدر والتعليل فيه وهو ما عناه المصنف رحمه الله بقوله "لما وكيف"لما خلق الله أبليس لما يعذب الله فلان وغير ذلك من الأمور.وهذا منشأ الخلل والزيغ والضلال والانحراف لأن الله فعال لما يريد ومع أنه سبحانه فعال لما يريد إلا أنه سبحانه وتعالى لا يفعل شيئا وإلا وله فيه من الحكم ما قد يظهر لنا جزء يسير منها وقد يخفى علينا الكثير منها لأنه الحكيم الخبير سبحانه وتعالى.لذلك لا يجوز لنا أن نسأل لما وكيف قال تعالى{لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}[الأنبياء/٢٣] وهذا من مقتضيات وسنة الإيمان بالقضاء والقدر التي تريح الإنسان وتريح الضمير والذين أعملوا عقولهم في هذا المجال ضلوا وأضلوا سواء النفاة القدرية أو غلاة الإثبات الجبرية.نس

والنقطة الأخرى في هذه الجزئية هي قياس أفعال الله تعالى على أفعال المخلوقين.لأن الإنسان الذي يقيس أفعال الخالق سبحانه وتعالى على أفعال المخلوقين هو الذي يرد السؤال عنده لما فعل كذا وكيف فعل كذا ولذلك سموا القدرية بمشبهة الأفعال لأنهم يقيسون الخالق على المخلوق ويقيسون أفعال الخالق سبحانه وتعالى على أفعال المخلوقين فضلوا وأضلوا نسأل الله العافية والسلامة.يقول ابو المظفر السمعاني رحمه الله ناصحا لنا.(سبيل معرفة هذا الباب التوقيف "يقصد باب القدر"من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن إليه القلب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى أختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب وهي العلل والحكم التي من أجلها أوجد الله سبحانه وتعالى وخلق الخلق) وعليه فإن القاعدة أن لا يستدل بالأدلة العقلية في تقرير العقائد فتقرير العقائد إنما يعتمد على النصوص "التوقيف" وإنما يستدل بها لإقامة الحجة على المخالفين كما قلنا إن السلفيين هم العقلانيون فهم الذين يعملون العقل في مكانه الصحيح فيثمر فيه ويؤتي أكله ويؤدي نتائج صحيحة فالعقائد الأصل فيه التوقيف أي الأخذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكن لا مانع من الاحتجاج العقلي في إقامة الحجة على الخصم في بيان الحق والدفاع عنه. يقول من لم يعرف تفسير الحديث ولم يبلغه عقله يعني من أشكل عليه حديث الصادق المصدوق فيشكل عليه مثلا وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .قد يشكل على بعض الناس لكنه إذا أيقن الإنسان بأنه لا يظلم ربك أحدا وأن الله هو العليم الخبير ولذلك جاء في

بعض ألفاظ الحديث ما يزيل هذا الإشكال قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة في ما يراه الناس فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وكذلك الصورة الأخرى ولا يظلم ربك أحدا فإذا رسخ هذا في يقينك وإيمانك انجلت عنك جميع الشبهات التي ترد على هذه الأمور والواجب على المؤمن كما تقدم الإيمان والتصديق وهذا هو معنى الإسلام قال تعالى ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)) لا خيار إنما عليك التسليم قال سبحانه { فلا وربك لا يؤمنون) يقسم الله سبحانه بذاته العلية أنهم لا يؤمنون (حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما } [النساء/٦٥]) و قال تعالى عن الراسخون في العلم { والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب } [آل عمران/٧] وصفهم الله تعالى بأنهم أهل رسوخ في العلم فالرسوخ هو الغوص والتثبت من العلم الحقيقي فالراسخ هو الذي لا تزعزعه الشبهات ولا الشكوك ووصفهم بأنهم أيضا ألوا الألباب لا على الذين يجعلون أهواءهم هي الحكم على نصوص الشريعة فما قبلته هذه الأهواء حكموا به وما رفضته ردوه وقلنا أن ما كان خلاف الكتاب والسنة فهوى هوى قال تعالى

{ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين } [القصص/٥٠]) فليس للمسلم أن يحكم بعقله وهواه على الكتاب والسنة وإنما عليه التسليم يقول الزهري"من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم "((آمنا به كل من عند ربنا)) أحاديث الرؤية.المراد رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة نسأل الله أن لا يحرمنا بذنوبنا فضله وأن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة أحاديث الرؤية أشكلت على بعض الذين حكموا أهواءهم وعقولهم فقالوا لا يتصور أن المخلوق يرى ربه سبحانه وتعالى لماذا لأنهم قاسوا الخالق على المخلوق مع ثبوت النصوص الصريحة الواضحة الجلية في هذى المعنى في الكتاب والسنة يقول الله سبحانه وتعالى{ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} [القيامة/٢٢/ ٢٣]) أي تنظر إلى وجه ربها الكريم سبحانه وتعالى وجاء بيان ذلك في الحديث المتفق عليه "في حديث جرير وغيره يقول كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر (كم في هذه العبارة من مؤكدات)لا تضامون في رؤيته"قمة البيان في تأكيد هذه الحقيقة .

ومنها "حديث صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار (وهذه غاية المنتهى قال تعالى{ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور } [آل عمران/١٨٥] قال فيقول الله سبحانه قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر

إلى ربهم وفي رواية ثم تلى قوله تعالى{ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون } [يونس/٢٦] "الحسنى هي الجنة والزيادة على نعيم الجنة هو النظر إلى الله سبحانه وتعالى وهناك أحاديث كثيرة في هذا المعنى يكفي منها ما ذكر .يقول (مثل أحاديث الرؤية) تلاحظون التطبيق لماذا ذكرناه من علامات أهل البدع أنهم يضربون النصوص بعضها ببعض يقولون هذه الأحاديث مردودة لأن الله تعالى يقول ((لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)) فقالوا هذه الآية على حسب فهمهم أنها تعارض هذه النصوص مع أن المنتفى هنا هو الإدراك وليس النظر والله سبحانه وتعالى لا يحيط به شيء من خلقه ولا يدركه شيء من خلقه لكن ذلك لا يمنع من النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى.فالإنسان يرى الشمس ولا يدركها بل يرى البحر ولا يدركه هل نفيت الرؤية عن البحر وانت تقف على الشاطئ فهل يرى البحر أولا فإن قال لا فهو مخالف للواقع وللحقيقة فإن قال أنه أدرك البحر عند رؤيته فهو مخالف للواقع المشاهد وللحقيقة.ففرق بين الإدراك والرؤية.

يقول المصنف رحمه الله من أصول السنة(وأن لا يخاصم أحدا ولا يناظره)وذكرنا ضوابط المناظرة وأن منها ما هو محمود وما هو مذموم. قال.(ولا يتعلم الجدال) لعله يقصد علم الجدل وهو علم الكلام الذي ضل بسببه طوائف من الأمة ونصوص السلف بالتحذير منه وهي مشهورة معلومة يقول الإمام الشافعي رحمه الله "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام "هذا حكمه عندهم التعزير ويقول في هذا شعرا

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث والفقه في الدين

العلوم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسوس الشياطين

ففرق بين ميراث النبي صلى الله عليه وسلم وميراث الأغريق واليونان .قال تعالى { أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير } [البقرة/٦١] حثالات البشر التي ما زادتهم إلا حيرة وضلال وشك.أنترك كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ونذهب إلى حثالات البشر وللأسف تسمعون في صحافتنا الآن الدعوة للفلسفة وأنه لا تحصل السعادة إلا بتعلم الفلسفة وهذا مما حذر منه الإمام رحمه الله تعالى يقول"ما فسد الناس إلا لما تركوا لسان العرب واتبعوا لسان أرسطوا"يعني علم الكلام ويقول أبو يوسف"العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم"وغير ذلك من النصوص المعروفة عن السلف في ذم الكلام .قال المصنف رحمه الله (فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه منهي عنه) يعني استعمال الجدل العقلي المحض في مثل هذه القضايا التي الأصل فيها التسليم والإيمان وهناك فرق بين تقرير المسائل وبين الرد على الخصوم.فتقرير المسائل مبني على النصوص لكن الرد على الخصوم يمكن أن يرد عليهم بالحقائق العقلية الصحيحة .مثال ذلك حينما يشكل على من يستعمل عقله في قضايا القدر يقول

المعاصي بقدر من الله أم لا.نقول لاشك أنها بقدر الله { إنا كل شيء خلقناه بقدر } [القمر/٤٩])
ولا يكون إلا ما يريده سبحانه تعالى يقول كيف يقدر الله شيئا لا يحبه ولا يرضاه.نقول لأنكم
تفرقون بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية .مثال عقلي بسيط من واقع الناس يقنع هؤلاء
المساكين الذين غلو في عقولهم مع أنها ليست بشئ الإنسان في المستشفى ألا يوقع برضاه
واختياره على بتر عضو من أعضائه لماذا لحكمة أعظم من هذا الألم وفقدان هذا العضو من
أجل سلامة باقي الجسد فالإنسان يأخذ الدواء المر الكريه ثم يغمض عينيه ويبلعه بمحض إرادته
واختياره لماذا لأنه ينظر إلى العقل وإلى الحكمة من وراء ذلك .فلا مانع من استخدام الأدلة
العقلية في الرد على الخصوم ومجادلتهم لا في تقرير العقائد.يقول المصنف(لا يكون صاحبه وإن
أصاب بكلامه السنة من أهل السنة) يعني كونه وصل إلى الحق من غير طريقه فإنه مخطئ
وإن أصاب الحق.كما ذكر الإمام الشافعي رحمه في الذي يجتهد في النصوص وهو لا يملك
أدوات الاجتهاد فهو وإن أصاب الحق فإنه مخطئ لماذا لأنه لم يأت الأمور من أبوابها وكذلك
لو توصل إلى حقيقة من الحقائق عن طريق علم الكلام لا عن طريق النص من كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم فقرر عقيدة شرعية دينية من غير الكتاب السنة وإنما مما دل عليه
العقل فنقول فهو وإن أصاب الحق ووافق السنة فهو مخطئ فأصل العقائد أن تؤخذ من كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .يقول المصنف.(حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار) لأن الآثار
هي الأصل.ثم ذكر أن من الأصول التي يجب الإيمان بها أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق
ومسألة خلق القرآن حصلت ونشأت في أيام المأمون حينما ظهرت المبتدعة والجهمية فتبناها
المأمون وأراد أن يفرضها على الناس فابتلي المؤمنون وامتحنوا وامتحن بسببها العلماء فمنهم من
ثبت وصبر وصابر وكان له النصر وإظهار السنة ومنهم من أستعمل التقية إلى غير ذلك من
الأمور فالشاهد أن هذه من القضايا التي أثارتها المعتزلة والجهمية في قضية كلام الله عز وجل
فقالوا أن كلام الله مخلوق فانبرى لهم أهل السنة قديما وحديثا في الرد على هذه البدعة وامتحن
الناس بسببها منهم الإمام أحمد رحمه الله فأوذي في عهد المأمون وسجن ثم أوصى من جاء
بعده وهو المعتصم ثم من جاء بعده وهو الواثق ثلاثة من الخلفاء كلهم يوصي بعضهم بعضا في
امتحان الناس في هذه القضية الخطيرة حتى جاء الفرج أيام المتوكل فأخرج الإمام احمد وانتشرت
السنة وقمعت البدعة فالقرآن كلام الله ليس بمخلوق والنصوص في هذا كثيرة لأن القرآن كلام الله
وكلامه صفته عز وجل قال تعالى { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله
ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون } [التوبة/٦] موضع الشاهد حتى يسمع كلام الله فالقرآن
كلام الله بنص الآية وكلامه صفته. "وجاء في حديث جابر وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل ويقول ألا رجل يحملني إلى قومي
فإن قريش قد منعوني أن أبلغ كلام ربي"يعني يبلغ هذا القرآن وتواترت عبارات السلف في أن

القرآن كلام الله غير مخلوق فقد نقل اللآلكائي على سبيل المثال عن خمس مائة وخمسين من التابعين فما دونهم كلهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق إذا فهي مسألة مسلمة ومنتهية عند أهل السنة قال المصنف(ولا يضعف أن يقول ليس بمخلوق فإن كلام الله ليس ببائن منه) قوله "ليس بمخلوق" كما قالت الجهمية ثم يعلل ويدلل ذلك "فإن كلام الله ليس ببائن منه" يعني هو من الله عز وجل ليس مخلوقا في غيره وليس منفصل عنه وهذا هو معنى ليس ببائن منه كما قالت المعتزلة إن الله لما كلم موسى تكليما خلق الكلام في الشجرة فسمعه موسى من الشجرة هذا معنى أن القرآن بائن من الله عز وجل يعني منفصل عنه.بل هو كلامه سبحانه وتعالى ليس شيء منه مخلوق لماذالأن الصفة تابعة للموصوف فكما أن الله ليس كمثله شيء فكذلك صفاته فهي تابعة لذاته سبحانه وتعالى ليس شيء منها مخلوق ومن ذلك كلامه سبحانه وتعالى . يقول المصنف (وإياك ومناظرة من أحدث فيه ومن قال باللفظ وغيره ومن وقف فيه فقال مخلوق أم ليس بمخلوق إنما هو كلام الله فهذا صاحب بدعة مثل من قال هو مخلوق إنما هو كلام الله وليس بمخلوق) الطوائف بعد أن رفعت المحنة عن أهل السنة وانكسرت شوكة البدعة وصاروا يبحثون عن مخارج لهم لتقرير هذه البدعة مع السلامة من مصادمة أهل السنة في هذه المسألة.فالطوائف المخالفة للحق في مسألة القرآن على ثلاثة أنحاء

.١. طائفة قالوا القرآن مخلوق

. ٢ . وطائفة قالوا القرآن كلام الله ونسكت لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق وهؤلاء يسمون الواقفة.

.٣ . وطائفة تحايلت لتبرير هذه البدعة فقالوا ألفاظنا بالقرآن مخلوقة وهؤلاء يسمون باللفظية وكلهم من الجهمية.

فالأولى صرحت فقالت القرآن مخلوق فلما ظهرت السنة صاروا يتوارون عن الأنظار فصاروا على قولين.

الواقفة: يقولون القرآن كلام الله ونسكت لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق ولذلك أنكر عليهم الإمام أحمد فقال" من وقف فيه فقال لا أدري مخلوق أو غير مخلوق وإنما هو كلام الله ويسكت يقول الإمام أحمد ولم يسكت لوما تكلم فيه الناس لكان يسعه السكوت" يعني بذلك عهد الصحابة و التابعين ما كان أحد يقول القرآن مخلوق أو غير مخلوق لكن لما حدثت البدعة وقالت الجهمية بأن القرآن مخلوق وجب على أهل السنة أن يبينوا الحق في المسألة وأن يصرحوا بأنه غير مخلوق لأنه كلام الله عز وجل ولا يجوز لهم السكوت أو يقولوا القرآن كلام الله لا نقول مخلوق أو غير مخلوق وهؤلاء هم الواقفة وكلام الإمام أحمد في هذه المسألة مشهور معروف.

أما الطائفة الثالثة فهم اللفظية قالوا ألفاظنا بالقرآن مخلوقة وهذه حيلة من الحيل قالوها للتنصل من من الحق في هذه المسألة.ومسألة اللفظ حينما يقول لفظي بالقرآن مخلوق تحتمل معنى حق ومعنى باطلا فاللفظ يطلق ويراد به المصدر وهو فعل اللافظ ويطلق ويراد به المفعول وهو

الملفوظ فحينما تقول لفظي بالقرآن أو ألفاظنا بالقرآن مخلوقة هذه تحمل المعنيين. تحمل ألفاظنا التي أفعالنا فهذه لاشك أنها مخلوقة ولا يجادل في ذلك أحد.

وتحتمل أن تكون الملفوظ به وهو القرآن.وهو غير مخلوق. حينما تقرأ قوله تعالى { قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد}[الأخلاص] فهذا الصوت وهذه الألفاظ والحركات التي يظهر بها هذا الكلام لاشك أنها فعل العبد وهذه مخلوقة ولكن قد يطلق اللفظ ويراد به الملفوظ وهو القرآن وهو غير مخلوق لذلك أنكر السلف هذه العبارة الموهمة لكونها تحتمل حقا وباطلا فلا بد من الوضوح والتفصيل والبيان فنفرق بين ألفاظنا التي هي حركاتنا وبين الملفوظ الذي هو كلام الله عز وجل وهذا ليس بمخلوق ولذلك ورد ذكر الطوائف التي حاولت التستر خلف هذه العبارة الموهمة المحتملة عما يعتقدونه من القول بخلق القرآن

الأمر الثاني أرادوا الترويج بدعتهم من خلال هذا اللفظ الموهم الذي يحمل معنى حق ومعنى باطل من أجل التوصل إلى تقرير بدعتهم في الزعم بأن القرآن مخلوق نكتفي بهذا القدر والله أعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الـشرح

بعد أن تكلم المصنف رحمه الله على مسألة المؤمنين بالله سبحانه وتعالى يوم القيامة ثنى برؤية النبي صلى الله صلى الله عليه وسلم لربه لما عرج به إلى السماء السابعة وهذه

المسألة من فروعيات مسائل الاعتقاد ومن المسائل التي حصل فيها خلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم ومعلوم أن من خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة الوحدة وعدم التفرق وهذا في الأصول وهناك بعض الفروعيات في العقيدة التي حصل فيها الخلاف بين أهل السنة بناء على النصوص الواردة في المسألة ومن هذه الفروعيات المسألة التي بين أيدينا ومنها على سبيل المثال سماع الأموات للأحياء يسمعونهم أم لا وهذه من المسائل التي أختلف فيها الصحابة ومن جاء بعدهم من سلف الأمة وغيرها من المسائل اليسيرة المعدودة والقليلة وهي كما قلنا من مسائل الفروع لا من الأصول

مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه لما عرج به جاءت عن ابن عباس رضي الله عنهما من عدة طرق ذكر المؤلف رحمه الله هنا ثلاث طرق كلها عن ابن عباس

الأولى. عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس

والثاني طريق الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس

والثالث: علي ابن زيد ابن جدعان عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس وهناك بعض الطرق الأخرى التي لم يشر إليها المصنف رحمه الله تعالى منها طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند قوله تعالى ({ ولقد رآه نزلة أخرى }[النجم/ [١٣] ([فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل فقال رجل لابن عباس أليس قال الله تعالى ({ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير } [الأنعام/١٠٣] فقال له عكرمه أليس ترى السماء قال بلى قال أو كلها تراها فشاهد من ذالك ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثبت عنه انه يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه وخالف الصحابة ابن عباس في هذه المسألة ومنهم عائشة التي صرحت بذالك وقد جاء عن ابن عباس أن هذه الرؤية ليست بصرية عيانية إنما هي رؤية قلبية وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه انه قال إنكم لن ترو ربكم حتى تموتوا وهذا هو الراجح عند أهل العلم أن الله عز وجل لا يرى إلا في الآخرة الرؤية البصرية العيانية خلاف الرؤية القلبية وهذه ثابتة . فالنبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي كما في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام فالرؤية التي جاءت عن ابن عباس رضي الله عنهما الراجح أنها رؤية قلبية ومن روى عن ابن عباس الرؤية البصرية فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شي عن الصحابة رضوان الله عليهم أما ما جاء عن ابن عباس فهي الرؤية المطلقة بل جاء عنه مايدل على أنها ليست الرؤية البصرية ولذلك جاء عنه عليه الصلاة والسلام هل رأيت ربك قال رأيت نورا . والنور هذا هو الحجاب كما قال عليه الصلاة والسلام حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبوحات وجهه من انتهى إليه بصره سبحانه وتعالى. قال رأيت نورا وفي الرواية الأخرى نور انا أراه

"يعني كيف أراه "

وعليه فإن ما ورد عن ابن عباس مطلق وهو محمول على الرؤية القلبية يقول : الحافظ بن كثير

رحمه الله تعالى وهو من أئمة الحديث المحققين ((يقول من روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضوان الله عليهم)) وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة إلا أنــه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة قال فيه نظر والله أعلم) وابن عباس رضي الله عنهما يستدل بهذه الآية يستدل على إثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج يقول الحافظ بن كثير أيضا في هذه المسألة تابعهم جماعة من السلف والخلف ولقد خالفه جماعات من الصحابة رضوان الله عليهم التابعين وغيرهم لأن الراجح في الآية.

وهي قوله تعالى ((ولقد رآه نزلة أخرى)) واستدلال بن عباس. بها قال الراجح في الآية هي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التي خلقه الله عليها للمرة الثانية أما الآية الأولى الدالة على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم رآى ربه ليلة الإسراء بفؤاده . هي قوله تعالى({ ما كذب الفؤاد ما رأى } [النجم/١١]) وعليه فحملوا الرؤية التي قال بها بن عباس على رؤية الفؤاد لا رؤية العين الباصرة والله تعالى أعلم.

))قال والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم)) بدعة ولكن نؤمن به كما جاء وعلى ظاهره ولا نناظر فيه أحدا . ولذلك ذهب بعض أهل العلم إلا إطــلاق الرؤية من غير تحديد سوا كانت فؤادية أو بصرية . والذين قالوا بالرؤية بالفؤاد ليس هذا تأويل من تلقاء أنفسهم أو من قبيل التأويل المذموم إنما قالوا بذلك لدلالة النصوص الأخرى عليه .دلالة النصوص الأخرى التي نفت الرؤية في الدنيا البتة عن الله سبحانه وتعالى ولذلك للجمع بين هذه النصوص قالوا إنما هذه الرؤية رؤية فؤادية لا رؤية عينية وهذا من باب تفسير النصوص بالنصوص لامن باب التأويل المذموم الذي ذمه السلف رحمهم الله

مسألة الإيمان بالميزان

هذه مسألة أخرى وهي مسألة الإيمان بالميزان وقد جاء ذلك في النصوص الكثيرة في الكتاب و السنة من ذلك قوله عز وجل((فمن ثقلت موازينه فأوليك هم المفلحون .ومن خفت موازينه فأوليك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون } [المؤمنون/١٠٢إلى/١٠٤] { والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون { ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون } [الأعراف/٨/٩))

ويقول عزوجل

((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين } [الأنبياء/٤٧]) وغير من النصوص الثابتة التي جاءت في الكتاب والسنة ومن الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم "ما من شئ أثقل في ميزان المؤمن من الخلق الحسن" دل ذلك على أن هناك ميزان.وأصرح من ذلك حديث سلمان الفارسي قال "يوضع الميزان يوم القيامة فلوا أن فيه السموات والأرض لوسعهن فتقول الملائكة يارب لمن تزن بهذا فيقول لمن شئت من خلقي فيقولون سبحانك ماعبدناك حق عبادتك" وهذا أثر صحيح رواه ابن المبارك في الزهد والحاكم في المستدرك وغيره من أهل العلم ورويا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما عند الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وهناك أحاديث أخرى صريحة وصحيحة في هذا الموضوع ومنها على سبيل المثال قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث حسن يؤتى يوم القيامة برجل إلى الميزان ويؤتى بتسع وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزاني ثم يخرج قدر أنملة فيها شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتوضع في الكفي الأخرى فترجح بخطاياه وذنوبه وفي رواية فطاشت تلك الكفة ورجحت الثابت عند أهل السنة كما قال القرطبيو في المفهم وغيره انه إذا انقضى الحساب كان بعد وزن الإعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فقال إن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء لحسبها قال تعالى ({ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين } [الأنبياء/٤٧]) والموازين جمع ميزان وأصله موزان انه من مادة وزن فقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها والإيمان بالميزان انه حق هذا من أصول معتقد أهل السنة والجماعة لثبوت ذالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وورود ذالك في القرآن الكريم والموزون هو ما يوضع في الميزان وثبت في ذالك انه توزن الأعمال ويوزن ثوابها وتوزن الصحائف التي تكتب فيها الأعمال والعامل نفسه وهذا مادلت عليه النصوص وقد أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وهو من الأصول عندهم وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال وأنكرت المعتزل الميزان وحملت الآيات ونصوص الدالة والواردة في ذلك على أن المراد بذلك العدل بهذا خالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين والنصوص في ذلك كثيرة جدا وعليه فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ردا على القائلين بأن الميزان الوارد في النصوص بأنه العدل قال بعد الرد عليهم "أما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة سائر ما أخبر به سبحانه وتعالى من الغيب"التي لا تخضع لمقدراتنا وطاقاتنا ومعرفتنا في حدود ما نعيش في الدنيا ولذلك يقول

المصنف رحمه الله (والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة)وهذا في الكافر الكبير يوم القيامة لا وزن وهذه صورة من صور وزن العاملين (ويوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر)وهذا وزن الأعمال إما بالأعمال ذاتها وإما بثوابها وإما بالصحائف التي كتبت فيها الأعمال قال.

)والإيمان به والتصديق به والإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته) ويقول (وأن الله تعالى يكلمه العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان) مر معنا في ماتقدم صفة كلام الله عز وجل ومنه القرآن وأن القرآن كلام الله وأنه منزل غير مخلوق ومما يدل على إثبات هذه الصفة أن الله سبحانه وتعالى يكلم عباده يوم القيامة ليس بينه وبينهم ترجمان وقد جاء مايدل على مسائلته سبحانه وتعالى لخلقه في عرصات القيامة والمساءلة كما هو معروف لاتكون إلا بالكلام كما في قول الله عز وجل ({ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين } [الأعراف/٦]) وفي الآية الأخرى({ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب } [المائدة/ ١٠٩]وهذه مساءلة يوم القيامة وقال تعالى ({ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون/الحجر/٩٢/٩٣) والنصوص في هذا كثيرة .وأما أن الله سبحانه وتعالى يكلم عبده مباشرة من غير ترجمان فقد ثبت ذلك في الحديث الذي رواه البخاري وغيره ومن ذلك حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال "قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة"يقول الأعمش راوي الحديث وحدثني عمروا بن مرة عن خيثمة مثله وزاد فيه ولو بكلمة طيبة.فهذا حديث صريح واضح "مامنكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان "وجاءت أحاديث أخر بينت شيئا من هذه المكالمة في تقرير العبد بذنوبه وأعماله وعفو الله سبحانه وتعالى بأن سترها عليه في الدنيا وأنه يعفوا عنه ويغفر له في ذلك اليوم وغير ذلك من النصوص. الشاهد أن تكليم الرب سبحانه وتعالى للناس في العرصات ويوم القيامة وفي الجنة فهذا ثابت دلت عليه النصوص من القرآن والأحاديث الصريحة من السنة وهذا التكليم منه ما هو خاص كما في الحديث ومنه ماهو عام لعموم الخلق كما ورد أيضا في البخاري من حديث عبدالله بن أنيس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول"يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان "وهذا نص صريح على أن كلام الله بصوت مسموع على خلاف قول الذين قالوا أن كلام الله هو المعنى النفسي فالمعنى النفسي غير مسموع ولا يكون بصوت ويدل على ذلك قوله"فيناديهم" والنداء هو الصوت المرتفع إلى غير ذلك من النصوص والله المستعان.

قال المصنف(ومن أصول أهل السنة الإيمان بالحوض وأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضا يوم القيامة ترد عليه أمته (ثم ذكر من أوصافه)عرضه مثل طوله مسيرة شهر آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه نعم جاء ت أحاديث كثيرة في إثبات الحوض للنبي صلى الله عليه وسلم وجاء التصريح بسم الحوض وبصفته في أحاديث كثيرة وأنكرت الخوارج والمعتزلة الحوض الثابت للنبي صلى الله عليه وسلم ومن هذه الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا حوضي يوم القيامة قال فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن سعة الحوض فقال مثل مابين مقامي هذا إلى عمان قال سعيد فما بيتهما شهر أو نحوه وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرابه قال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يعب فيه ميزاب ميزابان من الجنة أو مداده من الجنة أحدهما من ورق والآخر من ذهب وجاء في الحديث الآخر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تردون علي الحوض وجاء في بعض الأحاديث والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة الظلماء المصحية قال من شرب فيها لم يظمأ يشهب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله مابين عمان وأيلة ماءه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وفي الحديث الآخر الصحيح الثابت قال صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض (يعني مقدمك)من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا والأخطر من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض فالأنازعن رجـال منكم ولا أغلبن عليهم فيقال انك لا تدري ماأحدثوا بعدك أي أنه يأتي فئام من أمة النبي صلى الله عليه وسلم يريدون الورود على حوض النبي صلى الله عليه وسلم فيحال بينهم وبين الورود كما جاء في وصف ذلك كما يذاد البعير الأجرب . البعير الأجرب إذا جاء مع الإبل ليشرب من مائها فإن الناس يردونه ويبعدونه حتى لا يعدى الإبل فالنبي صلى الله عليه وسلم وهو الرحيم بأمته ينازع في محاولة ورود هؤلاء الذين حيل بينهن وبين والورود فيقال له صلى الله عليه وسلم إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .أي من البدع والمخالفات لسنتك فهم وإن كان ظاهرهم أنهم من أمتك إلا أنهم قد عملوا أعمالا استوجبوا عليها أن يحال بينهم وبين الورود على حوضه صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يعرف أمته كما جاء في الحديث المعروف والمشهور لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحوض قيل يارسول الله كيف تعرف من يأتي من بعد من أمتك قال أرأيت لو كان لرجل خيلا محجلة في خيل دهم مبهم لا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال وهذا يدل على خطورة البدعة ومخالفة السنة نسأل الله السلامة وقيل هذا في المبتدعة وقيل هذا في

المنافقين الذين تظاهروا وأظهروا أنهم مع المسلمين فيأتون يوم القيامة مع المسلمين ثم يحال بينهم وبين ورود حوضه صلى الله عليه وسلم قال تعالى { يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم/الآية/الحديد/١٣/١٤)) كما جاء في الآيات وهذا مما يدل على مسألة الإيمان بالحوض وما ورد فيه يبقى مسألة هل هنا الحوض خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم أم أن لكل نبي حوضا جاءت بعض الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "لكل نبي حوض لكنها لا يصح فيها شئ مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الإسناد والعلم عند الله عز وجل. والنبي صلى الله عليه وسلم خص بهذا الحوض الذي هذه صفته وهذه مزاياه وإلا فقد ورد بعض الأحاديث الدالة على أن لكل نبي حوضا وإن كانت أسانيدها لا تخلوا من مقال. ومسألة الحوض من المسائل المتواترة فالصحابة الذين رووا أحاديث الحوض يفوقون خمسين صحابيا عن النبي صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على اشتهار الأمر عند الصحابة رضوان الله عليهم يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله (وقد بلغني عن بعض المتأخرين أنه أوصلها إلى رواية ثمانين صحابيا) أما من ناحية ما ورد في بعض الأحاديث مما قد يشكل على بعض الناس في سعة هذا الحوض وعدد آنيته وغير ذلك والمسافات التي وردت في الأحاديث يقول القرطبي في التذكرة(وظن بعض الناس أن في هذه التحديدات أضطراب واختلاف والأمر ليس كذلك إنما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث الحوض مرات عديدة ذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبة لكل طائفة ماكانت تعرف من مسافات مواضعها فيقول لأهل الشام مابين أدرح وجرباء ولأهل اليمن مابين صنعاء وعدن وهكذا قال وتارة يقدر بالزمان فيقول مسيرة شهر والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب وزوايا فكان ذلك بحسب من حضر ممن يعرف تلك الجهات فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها تقريبا لأفهامهم والله أعلم)قال المصنف رحمه الله (والإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تفتن في قبورها وتسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه ومن نبيه ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله عز وجل وكيف أراد والإيمان به والتصديق به) عذاب القبر نعوذ بالله من عذاب القبر يدل على ثبوته أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالاستعاذة من عذاب القبر في تشهدنا في كل صلاة فهو من الأمور المقطوع بها بلا شك وقد جاءت بعض الآيات الدالة على ذلك كما في قول الله عز وجل({ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب } [غافر/٤٦/٤٥]) أخذ العلماء من هذه الآية إثبات عذاب القبر. وقال تعالى ({ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول

يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين } [سبإ/٣١] والآيات الأخر كثيرة في هذا المعنى وكلها دالة على إثبات عذاب القبر وجاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة البغلة .وفي قصة الرجلين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم" إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لايستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة بين الناس" وغيرهم بل جاء التصريح بفتنة المؤمنين في قبورهم كما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فأمرت لها بشئ فقالت أعاذك الله أو أعاذكم الله من عذاب القبر فذكرت حديث الكسوف وقالت في آخره فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول إني أوريتكم تفتنون في قبوركم مثل فتنة الدجال قالت وسمعته يقول اللهم إني أعوذبك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار" وهذا الحديث ظاهر صريح في فتنة القبر وعذاب القبر لمن استحقه ومن ذلك ماورد عن أنس رضي الله عنه" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا من حوائط بني النجار فسمع صوتا من قبر فقال متى دفن صاحب هذا القبر فقالوا في الجاهلية فسر بذلك صلى الله عليه وسلم (لأنه خاف أن يكون من أمته)فقال لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر" فمن نعم الله سبحانه وتعالى علينا أننا لا نسمع ما في هذه القبور من العذاب والفتنة وإلا لما استطعنا أن ندفن موتانا ولذلك جاء في الحديث أنه يسمعه كل شئ إلا الثقلين الأنس والجن رحمة من الله سبحانه وتعالى بنا وكذلك حديث البغلة وهي أيضا من حديث أنس رضي الله عنه" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على حائط من حوائط بني النجار أخواله عليه الصلاة والسلام وهو على بلغة شهباء فسمع أصوات قوم يعذبون في قبورهم فقال صلى الله عليه وسلم لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر"فهذه الأحاديث وما في حكمها يدل على ثبوت عذاب القبر على مستحقه وعذاب القبر ليس خاصا بالكفار بل هو لبعض عصاة أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما مر معنا في حديث الرجلين من أصحاب الكبائر فبعض أصحاب الكبائر من هذه الأمة قد تجل لهم عقوباتهم في القبر نسأل الله السلامة وقد تكون عقوباتهم في الدنيا وقد تكون العقوبات المترتبة على أعمالهم تستحق دخول النار فيدخلونها ويخرجون منها كما سيأتي في حديث الشفاعة فالخلاصة أن عذاب القبر حق وأنه ليس خاص بالكفار وإنما يشمل بعض أصحاب الكبائر من الموحدين والنصوص في ذلك بلغت حد التواتر المعنوي عن النبي صلى الله عليه وسلم .يقول المصنف(والإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تفتن في قبورها وتسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه ومن نبيه ويأتيه منكر ونكير كيف شاء سبحانه وتعالى وكيف أراد والإيمان به والتصديق به) هذه مأخوذة من الأحاديث فالمسالة في القبر ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في العديد من الأحاديث من ذلك حديث أنس الذي

رواه البخاري وفيه يقول صلى الله عليه وسلم "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه يسمع قرع نعالهم قال أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل (أي في محمد صلى الله عليه وسلم) قال فأما المؤمن فيقول أشهد عبد الله ورسوله قال فيقال له أنظر إلى مقعدك قد أبدلك الله عز وجل به مقعدا من الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراهما كليهما أو قال جميعا(قال قتادة وهو الراوي عن أنس) وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم القيامة ثم رجع إلى حديث أنس) قال وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له ما دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه من غير الثقلين رواه البخاري"وهذا الحديث مختصر لأن السؤال يكون عن الله وعن دينه وعن نبيه وهي الأصول الثلاثة المشهورة والأحاديث في هذا المعنى كثيرة يطول الكلام فيها قال المصنف(والإيمان بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وبقوم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحما فيؤمربهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء في الأثر كيف شاء الله وكما شاء إنما هو الإيمان به والتصديق به(

الشفاعة يوم القيامة حق والشفاعة على صور متعددة..١الشفاعة المثبتة..٢الشفاعة المنفية.وبهذا جاءت النصوص قال الله عز وجل({ وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى } [النجم/٢٦])وهذه الشفاعة المثبة بضوابط وقيود والشفاعة المنفية كما في قوله تعالى ({ فما تنفعهم شفاعة الشافعين } [المدثر/٤٨]) وقد جاءت الآيات في إثبات الشفاعة لأقوام ونفي الشفاعة عن أقوام وقد نص جمع من أهل العلم على أن أحاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر المعنوي ومنها حديث أبوهريرة في الصحيحين قال"صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فعجل دعوته وإني أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا.

الشفاعة الثابتة: الشفاعة العظمى وهذه خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء والحديث في ذلك مشهور.حينما يشتد الكرب على الناس فيأتون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة في أن يفصل الله بين الخلائق فيأتون آدم ثم يأتون نوح فإبراهيم فموسى وعيسى عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم حتى تنتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها فيسجد عند العرش ويفتح الله عليه من المحامد ما لا يحسنه الآن كما قال عليه الصلاة والسلام فيقال له أرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيشفع النبي صلى الله عليه وسلم في الفصل بين الخلائق يوم القيامة وهذه الشفاعة العظمى الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهناك الشفاعة بإدخال قوم من أمته بغير حساب وهذه خاصة به عليه الصلاة والسلام ويشفع في قوم أستوجبوا

النار أن لا يدخلوها وهذه أيضا خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته في عمه أبي طالب وهذه أيضا خاصة به عليه الصلاة والسلام وهذه مستثناة من عموم الشفاعات لأن من شروط الشفاعة ألآ تكون إلا للموحدين وشفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه لا لقرابته منه ولكن لتلك المواقف المحمودة التي وقفها في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ دين الله عز وجل ومع ذالك فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستطع أن يخرجه من النار وهز عمه الذي ناصره وآزره في وقت لا نصير ولا معين ولكن أذن له أن يشفع في أن يخفف عنه العذاب يوم القيامة . فقال هو في ضحضاح من النار وهو الرقيق من نار يغلي منها دماغه نسأل الله العافية فهذه من الشفاعات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم أما شروط الشفاعة المثبتة فالأذن والرضى قال تعالى ({ وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى } [النجم/٢٦]) الأذن للشافع والرضى عن المشفوع .وهناك الشفاعة لأهل الكبائر وهم الذين دخلوا النار من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب ذنوب أقترفوها كما مر معنا في الحديث فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا أي أنه لا يبقى أحد من الموحدين في النار بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة الشافعين وبرحمة الله سبحانه وتعالى أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فمن معتقد أهل السنة والجماعة أنه لا يخلد أحد من الموحدين في النار والحديث في الشفاعة لأهل الكبائر جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث طويل "يقول صلى الله عليه وسلم فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد أمتحشوا فيلقون في نهر الحياة في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل "فهذه هي الشفاعة لأهل الكبائر وهي التي ينكرها المعتزلة.فالمعتزلة لا ينكرون الشفاعة العظمى وإنما ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر يقول مادام أنه يستحق العذاب فإنه لا يخرج منه. وهذه الشفاعة هي التي ينص عليها العلماء مخالفة للمعتزلة وبعض الخوارج للناس في هذه المسألة تفصيل وفي ما أشرنا إليه كفاية يقول المصنف رحمه الله (والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسى بن مريم عليه والسلام ينزل فيقتله بباب لد) هذا ما يتعلق بالمسيح الدجال وما يكون من أشراط الساعة الكبرى" وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث الكثيرة في تحذير أمته من المسيح الدجال بل جاء في الأحاديث كما سيأتي أنه يقول صبحكم ومساكم كأنه في طرف النهار وكان عليه الصلاة والسلام يبين عظم فتنته وكان عليه الصلاة والسلام يقول إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يجادله ويحاجه وإن يجرج وأنا لست فيكم فكل إمرء حجيج نفسه وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من صفاته كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما

هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه لكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه إنه أعور وإن الله ليس بأعور" يعني من علامته أنه أعور تعالى الله عن ذلك سبحانه وتعالى ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم المصلى أن يستعيذ بالله من من فتنة المسيح الدجال في كل تشهد وهذا مما يدل على عظم فتنته نسأل الله السلامة بل إن بعض أهل العلم كإبراهيم النخعي وغيره قال أن من لم يستعذ بالله من فتنة المسيح الدجال في صلاته فليعد صلاته وهذا خلاف قول الجمهور لكن فيه دلالة على ثبوت الأمر بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال وذلك لخطورة أمره.جاءت قصة المسيح الدجال في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان "قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حنى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوف مني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل أمرء حجيج نفسه والله خليفتي عل كل مسلم "ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من قصته ما هو معروف ومشهور فذكر من فتنته أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وأن ماشيته تذهب عجافا لاحليب فيها ثم تعود أشبع ما تكون وأكثره درا ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ثم ينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم من أموالهم شيئا ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل ثم يدعوا رجلا ممتلأ شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك" .وهذا من الفتنة نسأل الله العافية والسلامة .والناس في هذا الزمان يفتنون في ما هو أدنى من ذلك فكيف لو ظهر المسيح الدجال نسأل الله السلامة والشاهد نزول المسيح عليه السلام كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم وكما ذكر المصنف رحمه الله هنا "قال فبينما هوكذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه والسلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه تقطر وإذا رفع رأسه تحد منه جمان كالؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله"وباب لد هي بلدة معروفة إلى الآن بهذا الاسم وهي في فلسطين والمسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ينزل في آخر الزمان كما تواتر بذلك الأحاديث فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزية ويقاتل المسلمون معه المسيح الدجال حتى يقتله.بعد ذلك تكون الريح التي تقبض أنفاس المؤمنين فلا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق نسأل الله العافية والسلام وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

يقول المصنف رحمه الله تعالى (والإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما جاء في الخبر أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) مسألة الإيمان من المسائل العظيمة في العقيدة بل هي أول مسألة حصل فيها الخلاف وفارقت فيها المبتدعة الجماعة ومعلوم أن أول الفرق مخالفة لأهل السنة

والجماعة هم الخوارج وأول خلاف حصل في مسألة الإمامة ومسألة الإيمان ومسألة حكم مرتكب الكبيرة فغلت الخوارج في في هذه المسألة حتى كفروا مرتكب الكبيرة وأخرجوه من دائرة الإيمان وترتب على ذلك من جاء بعدهم محاولا معالجة هذه البدعة وهذا الخطأ ولكن من غير رجوع للنصوص الشرعية الحاكمة في هذه المسائل والتي أمرنا الله سبحانه وتعالى بالرجوع إليها عند التنازع والاختلاف ((فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول))فجاءت المرجئة التي قابلت الخوارج في هذه المسألة فغلو في رد بدعة ببدعة أخرى وهي إخراج العمل من مسمى الإيمان وترتب على ذلك ما ترتب من مفاسد عظيمة لا تزال الأمة تعيش آثارها إلى الوقت الحاضر ولذلك نص المصنف رحمه الله تعالى على هذه المسألة وجعلها من أصول السنة فقال (الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) وهذا الكلام في قضية أن الإيمان يزيد حكي أكثر واحد إجماع السلف على المسألة في دخول العمل في مسمى الإيمان وكل قائل بدخول العمل في مسمى الإيمان فإنه قائل بزيادة الإيمان ونقصانه على اختلاف عند بعضهم في عبارة الزيادة والنقصان فهم أجمعوا على أن الإيمان قول وعمل وأجمعوا على أن الإيمان يتفاضل يعني يفضل بعضه بعضا فإيمان جبريل وإيمان أبي بكر وإيمان عمر ليس كإيمان آحاد الناس فهو يتفاضل وجمهورهم نصوا على يزيد وينقص وبعضهم نص على الزيادة وسكت عن النقصان ومعلوم أن ما كان قابلا للزيادة فإنه قابل للنقصان وقد لا نستطيع أن نفصل أكثر من ذلك في هذه المسألة وإنما كما قلنا أنه حكى الإجماع غير واحد من السلف في دخول العمل في مسمى الإيمان وممن حكى الإجماع الإمام أحمد والبخاري وابن عبد البر في التمهيد و البغوي في شرح السنة واللالكائي وغيرهم من العلماء فتحرير مذهب السلف في هذه المسألة واضح جلي وتلخيص ما تقدم .مذهب السلف الإجماع على أن الإيمان قول وعمل وكذلك إجماعهم على التفاضل في الإيمان جمهورهم على أنه يزيد وينقص وبعضهم قال بالزيادة دون النقصان وذلك من شدة حرصهم على العناية بالدليل وكون أحدهم يدور مع النص حيث دار لأن النصوص من القرآن والسنة جاءت صريحة في الزيادة دون النقصان ولكن كما قلنا أن كل ما كان قابلا للزيادة فهو قابل للنقصان والنصوص في هذه المسألة كثيرة جدا كما في قوله تعالى {ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم}[الفتح:٤] وقال تعالى{إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى}[الكهف:١٣] وقال تعالى{ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا } [مريم/٧٦] } وقال تعالى{والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم } [محمد/١٧] وقال تعالى { ويزداد الذين آمنوا إيمانا} [المدثر/٣١] وغيرها من النصوص الكثيرة في هذا المعنى وتلاحظون أنها جاءت بلفظ الزيادة هذا بالنسبة للآيات أما بالنسبة للسنة منها ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى(أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) فبين أن الإيمان يتفاضل وأنه ليس على درجة واحدة ومن ذلك قول "النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون درجة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء

شبعة من الإيمان" فهذا دليل على تفاضل الإيمان أعلى وأدنى وهذا الحديث المتفق عليه نص على مسألة شمول الإيمان للقول والعمل وعند الإطلاق بأن الإيمان قول وعمل فإنه يشمل الأمور الأربعة المعروفة."قول القلب واللسان.وعمل القلب والجوارح" بعض أهل السنة في تعريفهم للإيمان زاد في تعريفهم للإيمان قول وعمل وتصديق وبعضهم قال قول وتصديق وعمل وسنة وغيرها وكلها راجع إلى أمور الأربعة لكن هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعلا لها قول لا إله إلا الله فهذا عمل اللسان القول.وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وهذا نص في أن العمل شعبة من الإيمان والعمل هنا عمل الجوارح الواضح الصريح قال والحياة شعبة من الإيمان وهذا عمل القلب وهنا نصوص كثيرة جدا منها "حديث أبي سعيد رأيت الناس وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي قال وعرض علي عمر وعليه قميص يجره قالوا ما أولت ذلك يا رسول الله قال الدين" فالنبي صلى الله عليه وسلم شبه الدين بالقميص والناس يتفاوتون في هذه القمص فمنهم من قميصه يبلغ إلى ثديه ومنهم من يزيد ومنهم من ينقص وهذا هو الشاهد لكن الذين استدلوا بنقصان الإيمان استدلوا بأمرين.

الأمر الأول:أن كل ما كان قابل للزيادة فهو قبل للنقصان.واستدلوا بحديث صحيح "قال صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب منكن"فوصفه صلى الله عليه وسلم للنساء بنقص الدين والدين هنا الإيمان فهذا نص على نقصان الإيمان كما أشرنا وهناك آثار كثيرة عن الصحابة رضوان الله عليهم في هذه المسألة ومنها قول عمير بن حبيب الخطمي رضي الله تعالى عنه "قال الإيمان يزيد وينقص قيل وما زيادته وما نقصانه قال إذا ذكرنا الله ووحدناه وسبحناه فلتك زيادته وإذا غفلنا ونسينا فذاك نقصانه"ويقول أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه" الإيمان يزيد وينقص وقال إن من فقه العبد أن يعلم أيزداد الإيمان أم ينقص وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى يأتيها" يقول يجب على الإنسان أن يتعاهد إيمانه فإذا نقص فليجتهد في زيادته في مسيره إلى الله سبحانه وتعالى ولذلك حينما نقف مع هذه النصوص وهي من المسائل العقدية الإيمانية المهمة التي يجب أن يكون لها أثر في نفوسنا ذلك أن الإنسان يتعاهد إيمانه كما يتعاهد حسابه فيحرص على زيادة إيمانه وكلما يزيد فيه وليحذر من كل الأسباب التي تؤدي إلى نقص إيمانه وإذا نقص إيمانه فعليه أن يستكمل هذا النقص لتستقيم مسيرته إلى الله تعالى لكي لا ينقطع به الطريق فالإيمان هو الطاقة طاقة القلب في هذه الحياة على طاعة الله سبحانه تعالى فلو أنقطع ذلك لانقطعت به السبل وكان فريسة للشيطان فعل الإنسان أن يتفقد قلبه وعليه أن يتفقد إيمانه وأن يحرص على زيادة إيمانه دائما ليسلم له طريقه ومسيره ولا غرابة أن نجد الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على استكمال إيمانهم وعلى الازدياد من هذا الإيمان فهذا عمر رضي الله عنه يقول هلموا نزداد إيمانا قال فيذكرون الله عز وجل.وأرجوا أن يكون هذا المجلس في بيت من بيوت الله عز وجل أن يكون من وسائل زيادة

الإيمان في قلوبنا ليعيننا على طاعة الله سبحانه وتعالى والاستقامة على أمره عز وجل.وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول اللهم زدني إيمانا ويقينا وفقها فهو يسأل الله سبحانه وتعالى مع الأخذ بالأسباب أن يزيد الإيمان في قلبه أن يزيد اليقين أن يزيده من الفقه في دين الله عز وجل.قال تعالى ((وقل رب زدني علما)) ويقول جندب بن عبد الله وابن عمر رضي الله عنهما يقولون تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فا زدننا إيمانا وغير ذلك من النصوص الكثيرة كلها تدل على زيادة الإيمان ونقصانه كما قلت أن كل من قال بدخول العمل في مسمى الإيمان يقول بالزيادة والنقصان والذين قالوا بأن العمل ليس داخلا في مسمى الإيمان من المرجئة بشتى أنواعها وطبقاتها قالوا بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص قال المصنف (كما جاء في الخبر أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) دلالة هذا الحديث واضحة وظاهرة على تفاضل الإيمان وتفاضل الناس فيه ولذلك بعض أهل العلم وهذا صحيح يفرقون بين التفاضل وبين الزيادة والنقصان عند الشخص نفسه فقد يكون إيمانه بعد سماعه لموعظة أو بعد درس علمي أقوى من إيمانه بعد أن يخرج من السوق للبيع والشراء ويجد الإنسان ذلك من نفسه أما التفاضل فهو بين شخص وآخر فإيمان أهل العلم وأهل الورع وأهل الزهد وأهل التقوى ليس كإيمان آحاد الناس ولذلك فالحديث هنا على تفاضل أهل الإيمان فيه.فكلما كان الإنسان أحسن خلقا كان أحسن إيمانا.قال المصنف رحمه الله تعالى(ومن ترك الصلاة فقد كفر وليس شيء من الأعمال تركه كفر إلا الله الصلاة ومن تركها فهو كافر وقد أحل الله قتله) هذه المسألة لها تعلق بمسألة دخول العمل في مسمى الإيمان وهي أن افتقاد أصل العمل وعموده وهو الصلاة إذا فقدت فقد إيمان صاحبها فمن ترك الصلاة فقد كفر وهذه المسألة من المسائل التي صار فيها خلاف عند بعض أهل العلم من المتأخرين.

الصحابة رضوان الله عليهم والمتقدمين لا خلاف بينهم في ذلك كما قال عبد الله بن شقيق رحمه الله."كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة "وهذا الإجماع من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم يرون الصلاة هي عمود الدين فإذا عمد العمود سقط البناء وقد استدلوا على ذلك بأدلة كثيرة منها ما هو صريح ومنها ما هو دون ذلك ومنها قوله تعالى{ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون}[القلم:٤٢/٤٣] وكذلك من الأدلة قوله تعالى { كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين}[المدثر:٤٣/٤٤/٤٥] سبب دخولكم النار لم نك من المصلين فهذه من النصوص التي استدلوا بها في هذه القضية على كفر تارك الصلاة وكذلك قوله تعالى { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون } [التوبة/١١] فجعل الأخوة مربوطة بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فدل ذلك على أن ترك الصلاة قاطع لأخوة الدين ولا يكون ذلك إلا بالخروج من الدين بالكلية وفي الآية الأخرى {فإن تابوا

وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}[التوبة:٥] فجعل تخلية السبيل مربوطة بإقامة الصلاة وهي شعار الإسلام الظاهر وغيرها من النصوص وهناك نصوص صريحة في المسألة وهي التي قال بها واعتمد عليها أهل الحديث والصحابة رضوان الله تعالى عليهم منها حديث جابر وحديث يزيد بن حبيب الأسلمي رضي الله تعالى عنه "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر" وحديث جابر "بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة " فهذه النصوص صريحة وواضحة في تكفير تارك الصلاة بالكلية وللفقهاء كلام في هذه المسألة مثل الأئمة الثلاثة وغيرهم وقالوا أن تارك الصلاة يقتل لكنهم اختلفوا هل يقتل حدا أم كفرا بناء على خلافهم في ذلك فالذين قالوا أنه لا يكفر بترك الصلاة قالوا بأنه يقتل حدا والذين قالوا بأنه يقتل ردة لأنه خرج من الإسلام يستدلون على ذلك بإجماع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على قتال مانعي الزكاة وهي مسألة دون الصلاة فدل ذلك على قتال وقتل من ترك الصلاة وكذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن منابذة الأئمة وجعل المعيار في ذلك إقامة الصلاة قال "لا ما أقاموا فيكم الصلاة "ومعنى ذلك أنهم إذا لم يقيموا الصلاة فإنهم ينابذون بالسيف "وهنا يقول من ترك الصلاة فقد كفر" وقلنا إن هذه المسألة مبنية على ما قبلها وهذا الإجماع على قتل تارك الصلاة سواء كان ردة وكفر أو حدا.وأيضا من أصول السنة المفاضلة بين الصحابة رضوان الله عليهم وأفضل الصحابة هم الخلفاء الراشدون وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

يقول المصنف رحمه الله (وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا في ذلك ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وكلهم يصلح للخلافة وكلهم إمام ونذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر "كنا نعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي وأصحابه متوافرون أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت ") أولا يلاحظ أنه ذكر الخلفاء الثلاثة وسكت عن علي رضي الله عنه ثم بعد الثلاثة ذكر أصحاب الشورى وبدأ بعلي رضي الله عنه نبينا ما هو دليله في تأصيل هذا الأصل من أصول السنة قال(ونذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر) أولا هذا الدليل الذي يبني عليه الإمام أحمد دليل صحيح رواه البخاري وغيره بألفاظ متعددة فمن ألفاظ البخاري "كنا نخير ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي فنخير أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت .وفي رواية عند البخاري أيضا كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي خير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت" وهناك دليل آخر على هذه المسألة وهو حديث سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون الملك يقول سفينة أمسك خلافة أبو بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان

ثنتي عشر سنة وخلافة علي ستة سنين فهذه ثلاثون سنة" دل هذا على أن الثلاثين سنة هي الخلافة الراشدة بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء بعدها فهي خلافة لكنها ليست على منهاج النبوة وإنما فيها شيء من الملك ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية "أفضل الملوك وأول الملوك في الإسلام معاوية رضي الله عنه "والسبب في ذلك أنه أخذ الخلافة من غير اختيار أو عهد ممن قبله. وأيضا الحديث الآخر الذي جاء بلفظ " تكون فيكم الخلافة على منهاج النبوة فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا إلى آخر الحديث إلى آخر الحديث"هذه المسألة الأولى

المسألة الثانية.إجماع الصحابة وأهل السنة قاطبة على على تقديم الشيخين أبوبكر وعمر وهذه لاخلاف بين أهل السنة فيها لا الصحابة ولا التابعين ولا أتباع التابعين وليس هناك أحد يقدم علي رضي الله عنه فضلا عن غيره على الشيخين بل حتى علي رضي الله عنه كان يقدم الشيخين ونصوصه في ذلك كثيرة جدا وللأسف نحن مضطرون للتحدث في هذا الموضوع لانتشار الرفض في هذا الزمان وكثرة شبهاتهم وادعاءاتهم الباطلة وتشويشهم على أبناء المسلمين وغزوهم لنا في عقر دارنا ففي البخاري عن محمد بن الحنفية محمد بن علي بن أبي طالب وسمي بن الحنفية نسبة إلى أمه وكانت من سبي بني حنيفة."سألت أبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم أي قال ثم عمر قلت فخشيت أن يقول عثمان فقلت ثم أنت قال ما أنا إلا واحد من المسلمين" وهذا من تواضعه رضي الله تعالى عنه لكن الشاهد أنه قدم ابو بكر وعمر بل لم يقف الأمر عند هذا الحد حتى وصل به بعد توليته الخلافة رضي الله تعالى عنه وأرضاه إلى أن يتوعد كل من أوتي به يقدمه على الشيخين أن يقيم علي حد المفتري ثمانون جلدة فأصبح هذا الأمر مسلم عند الجميع لا خلاف في ذلك إنما اختلفوا في التقديم بين عثمان وعلي رضي الله عنهما فطائفة من أهل الكوفة كانوا يرون فضل علي على عثمان وبعضهم يقول نفاضل بين الشيخين أبو بكر وعمر.نحب الشيخين ولا نفاضل بينهما عثمان وعلي.وهي مسألة دون الأولى لكن الصحابة رضوان الله عليهم قدموا عثمان على علي وفي هذا يقول عبد الرحمن بن عوف لما فوض إليه أمر الاختيار بين الاثنين في الخلافة يقول رضي الله عنه لي ثلاثا ما اغتمظت بنوم (لأنه كان يستشير المهاجرين والأنصار) ثم إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان " يعني جمهورهم يقدمون عثمان على علي رضي الله عنهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. "وهذا إجماع منهم على تقديم عثمان على علي في الخلافة. ولما سأل رجل ابن المبارك عن تقديم عثمان على علي أيهما أفضل قال "قد كفانا ذلك عبد الرحمن بن عوف قام واجتهد وجمع خيار الأمة من المهاجرين والأنصار فلم ير أحد يعدل بعثمان فبايعه وبايعه علي واقر بهذا الاختيار رضي الله عن الجميع " يمكن أن يفهم من كلام الإمام أحمد أنه سكت بعد ذكر الثلاثة فهل يعني ذلك أنه لا يرى التربيع بعلي رضي الله عنه

نقول لا يقول الإمام احمد وأيوب الدارقطني من علي على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار والسبب كما قلنا وإن كان بعضهم يرى التوقيف بعد ذكر عثمان منهم الإمام احمد فإنهم لا يقدمون على علي أحدا بعد الثلاثة قال الإمام احمد وهذا نفي ما قد يتوهم من هذه العبارة من لم يربع بعلي فهو أضل من حمار أهله " قد يقال لماذا لم يذكر بعد الثلاثة.هذا من شدة تحريهم ودقتهم في الاستمساك بالنص وهو حديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق.فقال بمثل ما جاء في النص مع أنه لا يرى أن هناك أحد أفضل من علي بعد الثلاثة .وقد ورد عنه أنه كذب من نسبه إلى التوقيف عند عثمان فقال في رواية الحمصي عنه "قال خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي يقول الحمصي الراوي عنه فقلت له يا أبا عبد الله يقولون أنك وقفت على عثمان فقال والله كذبوا علي إنما حدثتهم بحديث ابن عمر قال ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لا تخايروا بعد هؤلاء فلماذا لا نربع بعلي رضي الله عنه وليس لأحد في ذلك حجة فمن وقف على عثمان ولم يربع بعلي فهو على غير السنة يا أبا جعفر" وقبل أن نكمل المؤلف هناك من يخمس الخلفاء الراشدين.ولكن من هو هذا الخامس إن كان ثمة خامس فمنهم يقول عمر بن عبد العزيز ومنهم يقول الحسن بن علي رضي الله عنه البعض قال أنه عمر بن عبد العزيز وري ذلك عن سفيان الثوري وروي أيضا عن الشافعي ومنهم من يقول الحسن بن علي رضي الله عنه في مدة خلافته ستة أشهر بعد ذلك تنازل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه حقنا لدماء المسلمين وهذه من أجل مناقبه التي أثني بها عليه جده صلى الله عليه وسلم حين قال "إن أبني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" فتنازل طوعا ابتغاء ما عند الله عز وجل. والصحيح في ذلك إن كان ثمة خامس فهو الحسن فإن لم يكن الحسن فهو معاوية رضي الله عنهم. ومعاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز لأن الصحبة لا يعدلها شيء كما قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى. فمعاوية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه بين يديه وإنما أشتهر عمر بن عبد العزيز لأنه جاء بعد سنوات من الظلم والعسف فرفع المظالم ورد الأمانات إلى أهلها أما معاوية فجاء بعد أولئك القمم من الخلفاء الراشدين فلم يظهر تميزه على غيره ومع ذلك كان له من حسن السياسة والعدل في الرعية ما لا ينكره إلا معاند أو جاهل وقد روى الأثرم بسنده يقول كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله فقال الأعمش كيف لو أدركتم معاوية قالوا في حلمه قال بل في عدله .قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى "واتفق العلماء على أن أفضل ملوك هذه الأمة معاوية رضي الله عنه وقد روي في فضله أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وسئل الإمام أحمد أيهما أفضل معاوية أم عمر بن عبد العزيز قال معاوية أفضل لسنا نقيس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "والحديث متفق عليه.وفي رواية قال كان معاوية أفضل من ستمائة

من أمثال عمر بن عبد العزيز واستدل "بحديث النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " أما خامس الخلفاء فإن كان ثمة خامس فهو الحسن رضي الله عنه ويدل على ذلك حديث سفينة الذي ذكرنا قبل قليل "قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون الملك" وعد المؤرخون مدة خلافة الحسن في هذه الثلاثين سنة والمسألة يسيرة والمقصود أن الصحبة لا يعدلها شيء وأنه لا يقدم على الصحابة رضوان الله عليهم دونهم مهما كان من فضله وعدله.

يقول المصنف(وبعد أصحاب الشورى أهل بدر) فهذه مراتب الصحابة. الخلفاء الأربعة.أصحاب الشورى.يليهم أهل بدر من المهاجرين ثم من الأنصار ثم يليهم من أسلم قبل الفتح كما قال تعالى{ وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير } [ا لحديد/١٠] } هذا حجر يلقم كل رافضي يطعن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر من أنفق من قبل الفتح وقاتل وذكر من أنفق من بعد الفتح وقاتل وكلا وعد الله الحسنى فكل الصحابة وعدهم الله الحسنى أي الجنة وهذه من أكبر الأدلة على عدالة الصحابة جميعا ووعد الله لا يخلف.ثم يقول المصنف(على قدر الهجرة والسابقة أولا فأولا) فكلما تقدم بالصحبة أو الطبقة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان أعلى منزلة ودرجة.

قال المصنف.(ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرن الذي بعث فيهم كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع إليه ونظر إليه نظرة فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذي لم يروه ولو لقو الله بجميع الأعمال كان هؤلاء الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه وسمعوا منه ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة أفضل لصحبته من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير) بين المصنف رحمه الله تعالى هنا من هم الصحابة ومنزلة الصحابة ومكانة الصحابة رضوان الله عليهم وأنهم مقدمون على غيرهم ممن جاء بعدهم والنصوص في هذا المعنى كثيرة كقول الله تعالى { محمد الرسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم. إلى قوله.وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما }[الفتح:٢٩] وقال تعالى ((السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان .إلى قوله. ذلك الفوز العظيم}[التوبة:١٠٠] وقال تعالى { لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة }[الفتح:١٨] وغيرها من الآيات وفي الحديث "قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم"وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال عليه الصلاة والسلام النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون

وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" رواه مسلم.وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلوا أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" ولذلك ذكر أهل العلم فضل الصحابة ومنزلتهم رضوان الله عليهم فمحبة الصحابة وتوقيرهم والدعاء لهم والترضي عنهم والتحذير من سبهم والطعن فيهم وهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة دونوه في كتبهم وضمنوه عقائدهم وتواصوا به فيما بينهم كيف لا وهم حملة الدين وأصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم والذين رأوه وآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فالذب عن أعراضهم دين وإيمان والطعن فيهم والنيل منهم كفر ونفاق بل هو طعن في الكتاب والسنة لأنهم هم الناقلون لهما فالقدح فيهم قدح في القرآن والسنة يقول الإمام أحمد"ما تنقص أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وينطوي على دنيئة وله خبيئة سوء إذ قصد إلى خير الناس وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الطعن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس مقتصرا على الرافضة مع أنه دينهم لكن للأسف أن هناك من يسمون بالعصرانيين ومن يسمون باللبراليين والعلمانيين وبالحداثيين ممن يتطاول على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه علامة خبث وفساد طوية وعداء للإسلام وأهله فو الله لا يكون بغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد إلا لنفاق في قلبه قل أو كثر .يقول أبو زرعة الرازي "إذا رأيت الرجل يتنقص من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة " هؤلاء هم الذين نقلوا لنا الدين فإذا كانوا كفرة أو فسقة أو منافقين أو كما يصفونهم أنهم كغيرهم يتصارعون ويتقاتلون ويحيكون الدسائس للتسلط والسيطرة على السلطة والتولي على رقاب الناس فهذا طعن فيهم والطعن في الصحابة طعن في الدين فلم يبق دين البتة قال المصنف رحمه الله (والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين) من أصول أهل السنة الطاعة للأئمة لما في ذلك من المصالح المترتبة للمسلمين وهذا ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما والحديث مخرج في الصحيحين "قال صلى الله عليه وسلم على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" إنما السمع والطاعة في الأمور المباحة التي ينبني عليها صلاح المسلمين فلا يصلح حال المسلمين إلا بإمام يقود المسلمين ولا ينصلح الحال إلا بطاعة ذلك الإمام في مصلحة المؤمنين ولذلك جاءت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين في غير معصية ولذلك جاء التقييد بقوله في غير معصية .وجاء في حديث سلمة بن يزيد"قال سأل رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم سأل الثانية ثم سأل الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس فقال صلى الله عليه وسلم اسمعوا وأطيعوا فإن عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم " إن قصروا أو ظلموا أو جاروا فمحاسبون أمام الله عز وجل وأخطاءهم لا تكون ذريعة لأن نخطئ نحن فنقول إن أعطونا حقنا أعطيناهم حقهم وإن منعوا منعنا لا لكن نعطيهم الحق الذي لهم ونسأل الله الحق الذي لنا بهذا تستقيم الحياة ويصلح حال المسلمين.قال المصنف امتداد لهذه المسألة (والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك،وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأمة ماض) يبين المصلحة المترتبة على طاعة الأئمة لأنه لو حصل شغب ومخالفة لتوقف الجهاد. والجهاد شعيرة من شعائر الدين فلا يتوقف الجهاد لجور جائر أو عدل عادل إنما هو ماض مع كل من قام به ولذلك قال المصنف (و الغزو ماض مع البر والفاجر) لماذا لأن بعض الخوارج وبعض المبتدعة يقولون لا نجاهد إلا مع الإمام العدل ولا نقيم الحدود إلا مع الإمام العدل إلى غير ذلك من الأمور بهذا لا يمكن أن تستقيم الحياة فالشاهد أن هذه الأمور من شعائر الدين. الجهاد، الفيء، إقامة الحجة، والجماعات، إقامة الحدود، لا نقول إنها لا تكون إلا مع إمام عادل إنما تقام معه سواء كان عادلا أو غير عادل لأن المصلحة المترتبة على ذلك عظيمة للمسلمين قال المصنف(وليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم ودفع الصدقات لهم جائزة ونافذة) المراد بالصدقات الزكاة تدفع لهم وهذه المسألة فيها تفصيل الأموال قسمها العلماء إلى ضربين أموال ظاهرة كالمواشي والحبوب والثمار وغيرها فهذه الأصل فيها أن تدفع إلى الإمام لماذا لأن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}[التوبة:١٠٣] الأصل أن تدفع للإمام كما أخذ ابو بكر الصديق الزكاة وقاتل عليها من امتنع عن أدائها وقاتل معه الصحابة وأجمعوا على ذلك.دل ذلك على أن هذه الأموال الظاهرة حق من حقوق الإمام إذا طلبها وتجزئ عمن أخذت منه وإن كان الإمام غير عادل وبرئت ذمته المعطي أما الأموال الباطنة كالنقود وعروض التجارة لم يظهر خلاف أنه لو طلبها ودفعت له كان ذلك جائزا حتى وإن لم يكن عدلا. لكن هل يجب عليه أخذها هذه مسألة أختلف فيها الفقهاء.الحنفية والشافعية قالوا أنها تفوض لأرباب الأموال يخرجونها هم وينفقوها على حسب ما يرون من مستحقيها.خلاصة المسألة حتى لا نطيل نقول الأئمة على طرفين إما عدول وإما غير عدول فالعدول إذا طلبوا زكاة الأموال الظاهرة والباطنة فإنها تدفع لهم وغير العدول إن طلبوها فإنها تجزئ وتدفع لهم فإذا لم يطلبوها فالأولى أن ينفقها الإنسان على حسب مستحقيها لكن إذا طلبوها فإنها حق من حقوقهم وتدفع لهم والأصل في ذلك حديث جرير في مسلم."قال جاء ناس من الأعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم إن أناسا من المتصدقين يأتوننا فيظلموننا قال صلى الله عليه وسلم أرضوا مصدقيكم" يعني أعطوهم ما طلبوا يفسر ذلك حديث أنس "أن

رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أريت لو أديت الزكاة إلى رسولك فقد برأت منها إلى الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم نعم إذا أديتها إلى رسولي فقد برأت منها إلى الله ورسوله ولك أجرها وإثمها على من بدلها"

قال المصنف رحمه الله (وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاه جائزة باقية تامة ركعتين من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم يرى الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفا جر فالسنة أن تصلى معهم ركعتين من أعادهما فهو مبتدع ويدين بأنها تامة لا يكن في صدرك من ذلك حرج) ذكر هنا الصلاة خلف الأئمة لأنهم يأمون العامة في الجمعة والأعياد ونحو ذلك فيقول أن السنة أن يصلي معهم ركعتين لأن بعض المبتدعة يقول لا نصلي إلا مع من نعلم عدالته فلذلك يصلون الجمعة أربع ركعات قال وينبغي أن نعلم أن صلاتنا صحيحة ولا يشك في ذلك إلا صاحب بدعة جاء في صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج الثقفي وكذلك أنس بن مالك وكان الحجاج فاسقا سفاكا للدماء كما هو معروف ومع ذلك ما تورع الصحابة عن الصلاة خلفه دل على ذلك على أن هذه هي السنة وهم أحرص الناس على السنة وعلى تطبيقها.وفي البخاري "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطؤوا فلكم وعليهم " وصلى عبد الله بن مسعود كما يذكر خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان يشرب الخمر فصلى بهم الصبح أربعا فقال أزيدكم قال ابن مسعود ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة" تذكر هذه الحادثة هنا لبيان حرص الصحابة على الصلاة خلف الأئمة وإن كانوا ليسوا عدول.لكن من المعلوم المقطوع به أنه لا يجوز التعمد في زيادة الصلاة فالصلاة تبطل إذا تعمد الإنسان الزيادة فيها فمثلا لو سها الإمام وصلى الفجر ثلاثا أو أربعا وعلمنا أن هذه زائدة لا يجوز لنا أن نتابعه في ذلك ولو تابعناه لبطلت صلاتنا فالمقصود أن هذه الحادثة التاريخية تذكر لبيان شدة المتابعة للأئمة من أجل أن لا يخرج الإنسان عن الجماعة ولا يفرق الجمع وإلا فلا يجوز متابعة الإمام إذا علم يقينا أنه زاد في الصلاة ومن زاد متعمدا فصلاته باطلة.هذه مع هذه ولذلك يقول عثمان رضي الله تعالى عنه "الصلاة من أحسن ما يعمل الناس فإذا أحسنوا فأحسن معهم وإن أساءوا فاجتنب إساءتهم" يقول المصنف رحمه الله تعالى(ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية) المصنف رحمه الله يشير إلى الأحوال التي تنعقد بها الإمامة إما أن تكون برضا أهل الحل والعقد والمسلمين كما كن في عهد الخلفاء الراشدين. وقد يكون بالتغلب كما حصل في عهد معاوية رضي الله عنه فكلتا الحالتين بالرضا أو بالغلبة فإنه تجب للإمام الطاعة ولذلك جاءت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه الحديث

في مسلم قال صلى الله عليه وسلم "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية" وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما "قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإن من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية " وهذا من أجل مصلحة المسلمين عدم شق الطاعة وتفريق الصف وشق الأمة كما سيأتي.قال المصنف(ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق) وهذه أيضا جاءت في النصوص كما في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه. في مسلم "قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قالوا قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة.وفي الرواية الأخرى لا ما قادوكم بكتاب الله "وفي الرواية الثالثة لا إلا أن ترو كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان"أي ظاهرا جليا لا خفاء فيه.فهذه هي الأمور الثلاثة التي تجيز للإنسان عدم الطاعة للإمام .إذا لم يقيموا فيهم الصلاة ولم يحكموهم بكتاب الله وإذا أظهروا كفرا بواحا دون هذه كلها فإنه لا يجوز ولا يحل قتاله ولا الخروج عليه. والسبب في ذلك أن الخروج على الأئمة يترتب عليه من المفاسد أعظم من المصالح المرجوة لأن بعض الناس قد يخرج بنية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا التاريخ كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " قل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير"لأنه يترتب على ذلك سفك الدماء وإخافة السبل فيترتب على ذلك من المفاسد ما لا يخفى.فلذلك جاء التوجيه النبوي عند ظهور المعاصي الأمر بالصبر حتى يستريح مؤمن أو يستراح من فاجر .يستريح مؤمن من هذه الدنيا ويلقى ربه أو يستراح من فاجر فإن له نهاية لا محالة.ولذلك فإن مصلحة المسلمين تقتضي الصبر عليهم مع ما عندهم من أخطاء وغير ذلك من الأمور. ولذلك قالوا "فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا" قال المصنف(وقتال اللصوص والخوارج جائز إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله فله أن يقاتل عن نفسه وماله ويدفع عنها بكل ما يقدر عليه وليس إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم ولا يتبع آثارهم ليس لأحد إلا الإمام أو ولاة المسلمين إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك وينوي بجهده أن لا يقتل أحدا فإن أتى عليه في دفعه عن نفسه في المعركة فأبعد الله المقتول إن قتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوت له الشهادة كما جاء في الأحاديث وجميع الآثار في هذا إنما أمر بقتاله ولم يأمر بقتله ولا أتباعه ولا يجهز عليه إن صرع أو كان جريحا وإن أخذه أسيرا فليس له أن يقتله ولا يقيم عليه الحد ولكن يرفع أمره إلى من ولاه الله فيحكم فيه) المصنف رحمه الله تعالى هنا يفصل في من يعتدي على الإنسان في نفسه وماله وعرضه من اللصوص وقطاع الطريق وغيرهم وما هو الحكم في هذه المسألة. الأصل أن قتالهم جائز فللإنسان أن يدافع عن نفسه

وماله وعرضه كما قال صلى الله عليه وسلم"من قتل دون دينه فهو شهيد من قتل دون ماله فهو شهيد من قتل دون عرضه فهو شهيد"فللإنسان أن يقاتل عن حقه.ولذلك قال المصنف(وقتال اللصوص والخوارج وقطاع الطرق ونحوهم جائز إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله فله أن يقاتل عن نفسه وماله قال ويدفع عنها بكل ما يقدر قال وليس له إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم ولا يتبع آثارهم) يعني مادام أنهم ما أخذوا منه شيئا أو نحو ذلك ما يلحق بهم ويتبع آثارهم ويقتلهم.قال ليس لأحد إلا الإمام أولاة المسلمين هم الذين يتتبعونهم ويقبضون عليهم ويقيمون عليهم ما يردعهم من إخافة الطريق (قال إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك وينوي بجهده أن لا يقتل أحدا) يعني يأخذ أقرب الوسائل في دفع صائلهم من غير إجهاز عليه وقتله فإذا لم يمكن دفعه إلا بقتله فله أن يقتله لكن إذا كان هناك وسيلة دون القتل فإنه يأخذ الأدنى فالأدنى(قال فإن مات في دفعه عن نفسه في المعركة فأبعد الله المقتول) يعني أخذ جزاءه الذي يستحقه قال(وإن قتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوت له الشهادة كما جاء في الأحاديث وجميع الآثار في هذا) كما في الحديث من قتل دون ماله فهو شهيد كما تقدم (قال إنما أمر بقتاله ولم يأمر بقتله) بقتاله أي بمدافعته ولم يأمر بقتله إلا إذا بلغت السيل الزبى فليس ثم إلا أن يقتلني أو أقتله ففي هذه الحالة له أن يقتله (وإن أخذه أسيرا فليس له أن يقتله) فليس له أن يقتله أو يقيم عليه الحد ويقول هذا قاطع طريق لأن إقامة الحد إنما هي للولاة.إنما عليه أن يرفع أمره إلى من ولاه الله الأمر يحكم فيه القضاء الشرعي بما يراه.يقول المصنف (ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله) ولذلك بوب البخاري رحمه الله تعالى قال باب لا يقال فلان شهيد.يعني رأينا أنه قتل في سبيل الله فلا نحكم له بالشهادة لأن الحكم له بالشهادة حكم له بالجنة وإن كنا نرجو له الشهادة واستدل على ذلك بقصة الرجل الذي كان يقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأبدى وأبلى بلاء حسنا حتى لفت ذلك أنظار الصحابة وأثنوا عليه فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار.ظاهره أنه قاتل مقبلا غير مدبر مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هو في النار فقام أحد الصحابة فتتبع أمره فرآه لما أصابته الجراح لم يتحملها فأجهز على نفسه ووضع الرمح في صدره وقتل نفسه.لذلك من رأينا منه أنه قد أظهر عملا صالحا فإنا نرجو له الخير ولا نحكم له بالجنة مهما بلغ لأن الله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم وأدرى بالخفايا ومن أظهر خلاف ذلك فإنا نخاف عليه ولا نقنطه من رحمة الله ولا نقول إنه من أهل النار ما دام من أهل القبلة لكن نرجوا للمحسن ونخاف على المسيء لكن لا نحكم لأحد من أهل القبلة بجنة أو نار هذا معنى كلام المصنف رحمه الله تعالى قال المصنف رحمه الله تعالى(ومن لقي الله بذنب تجب له به النار تائبا غير مصر عليه فإن الله عز وجل يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات.ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو

كفارته كما جاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.ومن لقيه مصرا غير تائبا من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.ومن لقيه كافرا عذبه ولم يغفر له) المصنف رحمه الله تعالى ذكر هنا أربع حالات للناس.

١) من لقي الله بذنب قد تاب منه وأقلع عنه. يعني أسرف على نفسه ثم تاب وأناب ولقي الله

٢) أذنب ذنبا وأقيم عليه الحد

٣) من لقيه مصرا غير تائب أذنب ذنبا ولم يتب ولم يقم عليه الحد ولقي الله

٤) لقي الله على غير الإسلام.

الأول. من لقي الله بذنب استوجب به النار.يعني ذنب توعد الله صاحبه بالنار تائبا غير مصر عليه فإن الله يتوب عليه فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات.فهذا يتوب الله سبحانه وتعالى عليه.

الثاني.من أقيم عليه الحد فهو كفارة له كما جاءت الأثر بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم

الثالث.من لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وتجاوز عنه لكن إن كان من أهل التوحيد فمآله الجنة لأنه لا يخلد أحد من أهل التوحيد في النار

الرابع.من لقيه وهو كافر عذبه ولم يغفر له. هذه الأربع الحالات لكن هنا إشارة إلى موانع الوعيد وهناك بعض الأمور التي تمنع إقاع الوعيد على العبد فذكر المصنف رحمه الله أثنين من هذه الموانع

أولهما: التوبة.فالتوبة تجب ما قبلها وتمنع الوعيد

والثانية:إقامة الحد.وهاتان اثنتان من عدة أمور وهي من مسقطات العقوبة وموانع الوعيد.منها أربع في الدنيا تكون سببا في أن لا يترتب على العبد الوعيد المترتب على ذلك الذنب.إن أقترف العبد ذنبا عليه من الله وعيد قد لا يتحقق هذا الوعيد لأسباب تمنع هذا الوعيد هذه الموانع منها ما هو في الدنيا ومنها ما هو في البرزخ ومنها ما هو في الآخرة.ما هي هذه الموانع. الموانع الأربع في الدنيا

أولها:التوبة. والاستغفار قال تعالى{قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم}[الزمر:٥٣]

ثانيها: الحدود يقول المصنف(ومن لقيه وقد أقيم عليه الحد) فهو كفارة له وهذه مسألة لا نطيل فيها ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا أدري الحدود كفارات أم لا لكن هذا الحديث لا يصح لأنه من مراسيل الزهري وهي ضعيفة وغلط عبد الرزاق فوصله كما أعله بذلك البخاري.لكن جاء في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت " قال صلى الله عليه وسلم بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا وأن لا تسرقوا ولا تزنوا إلى أن قال فمن وفى فأجره على الله

ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له قال ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه" قالوا إذا أقيم الحد فهو كفارة وإن لم يتب.وجاء في لفظ لمسلم"من أتى منكم حدا فأقيم عليه فهو كفارة له"

وثالثها:الحسنات الماحية للسيئات كما قال تعالى ((إن الحسنات يذهبن السيئات)[هود:١١٤] "

وأتبع السيئة الحسنة تمحها" كما قال صلى الله عليه وسلم

وربعها:المصائب المكفرة.فما يصيب الإنسان من مصائب في الدنيا تكفر عنه العقوبات المترتبة على الذنب.هذه هي الموانع في الدنيا

أما في البرزخ.صلاة أهل الإيمان عليه ودعاءهم له يشفع له أربعون أو من صلى عليه قد يصلى عليه عبد صالح فيقبل الله دعاءه وشفاعته فتكون سببا لنجاته من عذاب الله.

الأمر الثاني: عذاب القبر وفتنته.فبعض الذنوب تعجل عقوبتها في القبر فيلقى الله أبيض الصحائف.

وثالثها:ما يهدى إليه من الأعمال الصالحة.مثل صدقة جارية أو ولد صالح يدعوا له أو علم ينتفع به وغير ذلك من الأمور التي تلحقه في قبره

وهناك ثلاث يوم القيامة.

١. شدة الموقف وأهواله . والقصاص بعد الصراط قبل دخول الجنة . وشفاعة الشافعين . وأفضلهم وسيدهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومر معنا شفاعته لأهل الكبائر من أمته فهي نائلة إن شاء الله من لقي الله لا يشرك به شيئا فكم من إنسان يستحق العقوبة ويستحق النار فيشفع له النبي صلى الله عليه وسلم فيعفو الله عنه ويرحمه بشفاعته عليه الصلاة والسلام.أو شفاعة الشافعين من الملائكة أو من المؤمنين أو من الشهداء فالشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته.وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى أو الإفراط التي يقدمهم فيصبر ويحتسب هؤلاء شفعاء له يوم القيامة.

وآخرها وأجلها وأعظمها رحمة أرحم الراحمين.فالله يعفوا ويتوب ويتجاوز ويغفر ويمحوا عن أناس استحقوا النار بعد هذه الأمور الكثيرة لم يبق إلا حسن الظن بالله عز وجل.والخشية والله أن نلق الله سبحانه وتعالى بذنوب تحول بيننا وبين هذه المسقطات فنسأل الله أن يتولانا برحمته وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أعمالنا قال المصنف رحمه الله تعالى(والرجم حق على من زنا وقد أحصن إذا اعترف أو قامت عليه بينة وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رجمت الأئمة الراشدون) الرجم نص عليه لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيأتي أناس يكذبون بشرائع منها الرجم ولذلك نص علماء على هذه المسألة في عقائدهم وقد جاء في حديث ابن عباس قال عمر" سيكون بعدنا قوم يكذبون بالرجم(وهذا حاصل من الخوارج قديما ومن بعض الناس حديثا الذين يقولون الحدود فيها قسوة وفيها وحشية وتتنافى مع حقوق الإنسان وغير ذلك من الأمور)

قال ويكذبون بالحوض ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بقوم يخرجون من النار" وهذه كلها حصلت من المعتزلة والخوارج وغيرهم.وأيضا جاء عن "عمر رضي الله عنه أيها الناس إن الرجم حق فلا تخدعن عنه وإن آية ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم وإن أبا بكر رضي الله تعالى عنه رجم وإنا قد رجمنا وإنه سيكون قوم من هذه الأمة يكذبون بالرجم ويكذبون بالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما أم تحشوا"وهذه المسائل كلها يكذب بها من يسمون بالعقلانيين المعتزلة ومن بعدهم والنبي صلى الله عليه وسلم رجم كما في قصة ماعز والغامدية رضي الله تعالى عنهما وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لأنيس رجل من أصحابه في قصة رجل ذكر له أن امرأته زنت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها فاعترفت فرجمها فأقيم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. قال المصنف رحمه الله (ومن انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أبغضه لحدث كان منه أو ذكر مساوئه كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما) وهذه المسألة مسألة الصحابة تقدمت ولا يطعن فيهم ولا ينتقص منهم إلا شخص في قلبه نفاق ولذلك ذكر النفاق بعدها مباشرة.قال المصنف رحمه الله(والنفاق هو الكفر أن يكفر بالله ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الأحاديث التي جاءت [ثلاث من كن فيه فهو منافق]هذا على التغليظ نرويها كما جاءت ولا نفسرها.وقوله صلى الله عليه وسلم [لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض]ومثل[إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار]ومثل[سباب المسلم فسوق وقتاله كفر]ومثل[من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما] ومثل [كفر بالله تبرؤ من نسب وإن دق]ونحو هذه الأحاديث مما قد صح وحفظ فإنا نسلم له وإن لم نعلم تفسيرها ولا نتكلم فيه ولا نجادل فيه ولا نفسر هذه الأحاديث إلا بمثل ما جاءت ولا نردها إلا بأحق منها) هذه بعض نصوص الوعيد التي جاءت بإطلاق النفاق والكفر وغيرها على بعض الذنوب التي لا تصل بأصحابها إلى الكفر المخرج من الملة فما هو الموقف منها.للعلماء من نصوص الوعيد مواقف.منها ما ذهب إليه الإمام أحمد وقال به الأوزاعي وذكره الأصبهاني في الحجة " يقول إن الأوزاعي سأل عن مثل هذه الأحاديث فقال إنما كانوا يتحدثون بالأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت تعظيما لحرمات الله ولا يعدون الذنوب كفرا ولا شركا" مثل هذه الذنوب التي وردت. وهناك من قال إن مثل هذه الإطلاقات إنما هي من النفاق العملي غير المخرج من الملة أو الكفر العلمي غير المخرج من الملة لأنه كما هو معروف هناك كفر دون كفر ونفاق دون نفاق وشرك دون شرك أي النفاق الأصغر والكفر الأصغر والشرك الأصغر فمثل هذه الإطلاقات الشرعية التي تطلق على مثل هذه الأمور.المراد منها هو التحذير والتغليظ المعصية في مثل هذه الأمور ولذلك الأصل فيها أن

تمر كما جاءت كما قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وكما ذهب إليه الإمام أحمد ويقول نعتقد إمرارها كما هي من غير أن نتأولها ولا أن نتكلم فيها لأن المقصود هو التغليظ والتحذير وما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم إلا من أجل التحذير من مثل هذه الذنوب لعظمتها.وبعضهم قال أن المراد من هذه الآثار بيان أن هذه المعاصي من الأخلاق والسنن والأعمال التي عليها الكفرة وعليها المنافقين ومن اتصف بهذه الصفات وهناك من قال المراد بها المستحل لها وإن كان هذا القول فيه نظر لأن هذا القول قول المرجئة الذين لا يرون الكفر إلا بالاستحلال ولا شك أن الاستحلال كفر في حد ذاته من غير وقوع ذلك الذنب.القول الراجح في هذه المسألة {وهو حمل هذه الآثار على ظاهرها وإطلاقها كما جاءت كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد أن هذا العمل سبب لاستحقاق الوعيد المترتب عليه لكن لا يحكم على معين باستحقاقه لهذا الوعيد حتى تتوفر فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع ويقوم به المقتضي الذي لا معارض له.} هذا القول هو أرجح هذه الأقوال وهو الذي رجحه شيخ الإسلام بن تيمية في مواضع متعددة من كتبه وهو كلام الإمام أحمد.نأخذ مثالا لتقريب المسألة "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"أطلق النبي صلى الله عليه وسلم أن قتال المسلم كفر لكن نجد نصا آخر يبين على أن القتال لا يخرج الإنسان من الملة بل نصوص ومن ذلك قوله تعالى{ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين } [الحجرات/٩] فحكم عليهم بالإيمان مع حصول الاقتتال بينهم فدل ذلك على أن الكفر المذكور ليس هو الكفر المخرج من الملة. وقال تعالى { فمن عفي له من أخيه شيء}[البقرة:١٧٨] فسماه أخا له مع أنه قاتل فدل ذلك على أنه ليس الكفر المخرج من الملة. وأيضا حصل القتل والاقتتال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلمين فهل طبق عليه حد الردة وقيل إن القاتل كافر بناء على هذا الحديث.ولذلك أيها الأخوة من منهج أهل السنة أن النصوص يفهم بعضها ببعض ويفسر بعضها بعض وتفهم في جملتها فما دام أن هذا المسلم عنده ما يمنع التكفير فإن هذا لا يخرجه من الملة وإن أطلق عليه الشارع أسم الكفر لكن لا نأتي لمثل هذه النصوص ونهون من شأنها لأن الشارع لم يوردها إلا لغرض وهو تشنيع لهذه المعاصي وعظمتها فجاء بمثل هذه النصوص للتحذير منها ولما يترتب عليها من المفاسد.يقول المصنف(والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرأيت قصرا.ورأيت الكوثر .أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها..كذا.وأطلت في النار فرأيت..كذا ورأيت كذا.فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار)هذه العبارة رد على بعض الطوائف التي قالت بأن الجنة والنار لم تخلق بعد وإنما تخلق بآخر الزمان وهذا قول طوائف من المعتزلة والجهمية لأنهم يقيسون بأهوائهم وعقولهم بأن وجودها الآن عبث والنصوص صريحة

في هذا وهذا تكذيب لما في القرآن والسنة.يقول المصنف (ومن مات من أهل القبلة موحدا يصلى عليه ويستغفر له ولا يحجب عنه الاستغفار ولا نترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرا كان أو كبيرا وأمره إلى الله عز وجل.وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تمت)) ومن مات من أهل القبلة نسأل الله حسن الختام معروف أنه من أهل التوحيد من أهل الصلاة لا يعرف عنه خلاف ذلك فإنه يصلى عليه ويستغفر له فلا يترك الاستغفار له ولا نترك الصلاة عليه لذنب أصابه صغيرا كان أكبيرا فأمره إلى الله سبحانه وتعالى مادام من أهل الإسلام ولذلك تلاحظون عبارة المصنف رحمه الله تعالى قال .من أهل القبلة.يعني وإن كان متلبسا ببدعة وإن لم يكن من أهل السنة فما دام أنه من أهل التوحيد فإنه يستغفر له ويصلى عليه ويدعى له ولا تترك الصلاة عليه إذا مات.هذه والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات كنا ولا زلنا نتلمس آثار السلف في هذه الرسالة وفي غيرها ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يحشرنا في زمرة الصالحين مع أنبيائه وأوليائه ومن البشارات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال أنت مع من أحببت.فنحن نحب الله سبحانه وتعالى ونحب رسوله صلى الله عليه وسلم ونحب صحابته رضوان الله تعالى عليهم ونحب سلف هذه الأمة فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يحشرنا في زمرتهم وأن يجمعنا بهم وأن يغفر زلاتنا وتقصيرنا وأن يحيينا على الإسلام وأن يتوفانا عليه غير مبدلين ولا مغيرين.

وصية:

ونختم بوصية من سفيان الثوري لأحد إخوانه لما طلب منه النصح وهي نصيحة لنا أيضا قال" لا تأخذ دينك إلا ممن هو مشفق على دينه فإن مثل الذي هو غير مشفق على دينه كمثل طبيب به داء لا يستطيع أن يعالج داء نفسه فكيف يستطيع أن يعالج داء الناس وينفعها قال إنما دينك لحمك ودمك فابك على نفسك ورحمها فإن أنت لم ترحمها لم ترحم وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا ويرغبك في الآخرة وأكثر ذكر الموت وأكثر الاستغفار مما سلف من ذنوبك وسأل الله السلامة ما بقي من عمرك"ووصية الله للأولين والآخرين الجامعة المانعة تقوى الله في السر والعلن {أتقي الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن}وهذه وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ.وآخر دعونا أن الحمد الله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين